

أم القرى
في مدم خير الوری
"القصيدة الهمزية"

لناظمها
الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد ابن حماد البوصيري
(607-696هـ)

تحقيق وتعليق
فضيلة العلامة محمد الشاذلي النيفر

إصدار

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

العلم البوصيري

يعد البوصيري من أعلام الإسلام فقد اجتهد في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقتصر على المدح إذ تولى رد شبهات اليهود والنصارى، ودحض دعاويهم الكاذبة بإنكار النص على بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة والإنجيل وجاههم بالحقائق الناصعة الدالة على البعثة النبوية ختام الرسالات.

ولا ينكر أحد أن محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب غرس الإيمان في النفوس كما أشار إليه الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار﴾ (رواه أحمد والبخاري ومسلم، والترمذي والنسائي وابن ماجه)، يعد هذا الحديث من الأحاديث التي هي من دعائم الإيمان فقد بين أن المرء لا يتلذذ بالطاعة ويذل جهده في رضا الله ورسوله إلا بمحبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأمرين الآخرين.

وأشار إلى مدخلية محبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإيمان الإمامان الجليلان البخاري ومسلم حيث ذكر كل منهما هذا الحديث في كتاب الإيمان. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين﴾ (رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه)، قال القاضي عياض: "من محبته نصرته سنته، والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه وبهذا يتبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا به ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته على كل والد وولد،

ومحسن ومتفضل، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن".

ولتحقيق هذا المعنى في النفوس وإثارة محبته صلى الله عليه وآله وسلم على كل محبة حَبَّرَ الإمام البوصيري قصائده الرائعة، وقد منحه الله قوة بيان، وقدرة شعرية فائقة فاستطاع أن ينسج برودا شعرية فاق فيها الكثير ممن نظم في مدح صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

وقد نوه بالإمام البوصيري الكثير وعدوه إمام المديح النبوي وخصوا هزيمته بالثناء، فقد وصفها شارحها العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي: (ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الحمزية المشهورة العذبة الألفاظ الجزلة المباني العجيبة الأوضاع البديعة المعاني، العديمة النظير، البديعة التحرير إذ لم ينسج أحد على منوالها، ولا وصل إلى حسنها وكمالها حتى الإمام البرهان القيراطي (781) فإنه مع جلالتة وتضلعه... أراد أن يحاكيها ففاته الشنب، وانقطعت به الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب، وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها، وبراعة صنعها...)

انفردت الحمزية عن بقية المدائح النبوية الأخرى انفراداً ممتازاً فهي تبرز من السيرة النبوية وجهاً يتضمن من أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدعو إلى معرفته بحسب طاقتنا لا بحسب ما منحه الله من كمالات وجميل صفات ما عجز عن إدراكه البشر، في قالب بديع من حيث الإبراز في اللفظ البليغ، والمعنى الفائق، مما يجول بالنفس في جو يدعو إلى محبته صلى الله عليه وآله وسلم التي هي من كمال الإيمان، بل أساس الإيمان كما صرح به الحديثان المتقدمان حباناً الله حبه والعمل الصادق في خدمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

من حياة البوصيري

أبو عبد الله محمد بن سعيد الصنّهاجي البوصيري المصري شرف الدين ولد سنة 608 هجري.

يعد الإمام البوصيري حسنة من حسنات أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي 686 هجري الواصل إلى الله والموصول إليه.

ومن وصل على يديه الإمام البوصيري فإنه بعد أن اشتغل بالوظائف سلك طريق القوم بإمامة شيخه أبي العباس، والشيخ أبو العباس أخذ عن الولي الشهير أبي الحسن الشاذلي الحسني وهو عن الشيخ الولي الصالح عبد السلام بن مشيش وكان الشيخ ابن عطاء الله رفيقا له في السلوك على يد أبي العباس المرسي وكان سلوكه الصوفي من طريق المحبة النبوية فتمثلت في ذاته تلك المحبة النبوية وأراد تحقيقها في النفوس فنظم قصائد عدة في المدح النبوي وكل قصيدة من هذه القصائد ذات طابع خاص.

ومن أشهر هذه القصائد قصيدة البردة ذات البركة العيمة وقد اعتنى الناس بها شرقا وغربا وقصيدته الهمزية القصيدة العصماء وهي ذات امتياز كما قدمنا وقد اعتنى بها المعتنون شرحا ومحاكاة.

فمن شروحها شرح الإمام أحمد بن محمد الهيثمي الشهير بابن حجر 974 هجري وهو شرح جليل طرق فيه بحثا محررة فائقة، وحلل القصيدة تحليلا شافيا، كشف فيه عن معانيها العجيبة مع فوائد جمّة.

وقد اعتنى بهذا الشرح فكتب عليه الشيخ محمد الحفني حاشية، واختصره الشيخ سليمان الجمل، واشتهر هذا الشرح أيما اشتهار، وأقبل عليه المطالعون كما كتب على الهمزية من أهل المغرب الشيخ محمد بن أحمد بنيس شرحا حافلاً.

وقد انتفعت بهذه التحريات في تعليقي هذا على الهمزية.

وما ذكرته من أشهر شروحها الكثيرة العديدة، ولكل شارح مميزاته العديدة.

وللبوصيري قصيدة أخرى، وهي التي فند فيها أكاذيب اليهود والنصارى، وسمّاها (المخرج والمردود على النصارى واليهود) ناقشهم فيها مناقشة عارف بكتبهم، ورد عليهم رد دارس للتوراة والإنجيل، مطلعها:

جاء المسيح من الإله رسولا فأبى أقل العالمين قبولا
وعلق عليها ناظمها تعليقاً أشار فيه إلى ما استخرجه من التوراة والإنجيل، فهو قد ذب عن الجانب النبوي الشريف ذب محب صادق عالم بالأديان، وعارف بتحريف اليهود والنصارى، وله غير ذلك من القصائد الرائعة التي حواها ديوانه الحافل البديع.

وفاته:

ذكر المقرئزي أنه توفي سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة، لكن الحافظ ابن حجر صوب أنه توفي سنة أربع وتسعين وستمائة، رحمه الله رحمة واسعة وجازاه خير الجزاء على مدحه النبوي البليغ الفائق الرائق⁽¹⁾.

(1) انظر فوات الوفيات لابن شاعر الكتبي (ج3ص362) والوفاي بالوفيات للصفدي (ج3ص105).

بسم الله الرحمن الرحيم
 ترجمة موجزة للعلامة الجليل والمحدث النحرير
 سيدي محمد الشاذلي النيفر

اسمه وكنيته:

هو شيخنا العلامة البارع الأصولي المتفنن المحدث النحرير والشاعر اللغوي الكبير الأستاذ الشهير أحد أساطين العلم في تونس المعمورة ووحيد عصره وسيد مصره الشيخ المعمر والسيد الغضنفر، قيدوم المذهب المالكي الأشعري الجلد، أبو المكارم أو أبو الطاهر محمد الشاذلي ابن العلامة النفاة قاضي الجماعة بتونس المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر وينتهي نسبه من ناحية الأب إلى العارف بالله الإمام أحمد الرفاعي وأمه من عائلة الولي الصالح المشهور في البلاد التونسية سيدي علي عزوز.

مولده:

وُلد حفظه الله ورعاه في سنة 1325 هجري الموافق له 1908 رومي كما أقره هو بنفسه وذلك خلافاً لما هو معروف عند أكثر الناس. وكانت ولادته في مدينة تونس المحمية حماها الله وحرصها من كل بليّة.

نشأته:

نشأ شيخنا في بيت عريق في العلم والصلاح وتلقى تربية قرآنية منذ فجر حياته برعاية مؤدبين فضلاء فتعلم منهم مبادئ القراءة والكتابة واللغة العربية ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية التي أنشأها المصلح المرحوم الشاذلي المورالي لتعليم الناشئة المسلمة مبادئ العلوم الشرعية والعربية، ثم انتقل شيخنا إلى جامع الزيتونة المعمور محط أنظار طلبة العلم في تونس وشمال إفريقيا وذلك في سن مبكرة جداً، إذ تحول من المدرسة القرآنية إلى الزيتونة وعمره ثلاث عشرة سنة، وفيها كرع وتلقى العلوم على خيرة علمائها وكان من أول الذين انتفع بهم والده العلامة قاضي الجماعة المحدث محمد الصادق النيفر حيث كان أول من

أجازه في الحديث، وعنه تعلم الكتابة العلمية، وحضر دروسه الحافلة فقرأ عليه عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذي ودروس حديثة أخرى وبه تخرج بهذا الفن وحضر شرح التنقيح للقرافي وغيره من كتب الأصول ومصطلح الحديث وشرح صحيح مسلم كما تلقى فنوناً كثيرة مثل الأجرومية وقطر الندى والألفية بشروحها في النحو، ومختصر خليل، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني بشروحها الحافلة، ومختصر ابن عاشر في التوحيد والفقه والتصوف، والسلم في المنطق بحاشية الصبان، وتفسير البيضاوي، وطالع البشرى، وبغية المريد، والعقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني، وما سوى ذلك من العلوم التي تدرس في الجامع المعمور على جلة من العلماء الأعلام.

رحلاته:

ارتحل الشيخ إلى كثير من البلدان رغبة في لقاء الشيوخ وتوسيع دائرته العلمية وذلك عن طريق الاحتكاك ولقاء الأفاضل فدخل بلاد الشام فلسطين لبنان وسوريا والأردن وخاصة بيت المقدس. ثم دخل العراق وبلاد الحجاز، حاجاً ومعتماً عشرات المرات بل له سنة متبعة في ذلك ما تخلف عنها إلا في سنينه الأخيرة وذلك بسبب الشيخوخة، ودخل باكستان والهند، وبلاد شرق آسيا مثل اندونيسيا ودّرس فيها وبلاد البوسنة والهرسك وذلك رغبة وحرصاً منه على التلقي والانتفاع والنفعة.

تدريسه:

دّرس الشيخ في الجامع الأعظم العديد من العلوم منها النحو، والبلاغة وخاصة شرح مختصر السعد، والتاريخ، والحديث، وطبقات الرجال، والفقه، وخاصة شرح الدردير على سيدي خليل، والتفسير بشرح الجلالين، ودّرس في الصادقية وترشيح المعلمين.

شيوخه:

تلقى شيخنا صاحب الترجمة العلوم على كثير من المشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

شيوخه من تونس:

- 1- والده قاضي الجماعة العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر.
- 2- شيخ الإسلام المالكي علامة الدنيا في المعقول والمقاصد والأصول محمد العزيز جعيط.
- 3- قاضي الجماعة العلامة المرحوم الشيخ البشير النيفر.
- 4- العلامة الشيخ الخطاب بوشناق.
- 5- العلامة محمد العربي الماجري.
- 6- العلامة المحدث حافظ المذهب في البلاد التونسية محمد الزغواني.
- 7- شيخ الجامع اللغوي الكبير المفسر الأصولي محمد الطاهر بن عاشور.

شيوخه من المغرب:

- 1- العالم الرحالة المسند الشريف عبد الحي الكتاني صاحب فهرس الفهارس.
- 2- الشيخ محمد الحجوي.
- 3- الشيخ محمد بن محمد الحجوجي الحسني.

شيوخه من بلاد الحجاز:

- 1- محدث الحرمين الشريفين المسند العلامة والخبر الفهامة سيدي عمر حمدان المحرسي.
 - 2- الشيخ أبو علي حسن محمد المشاط المكي صاحب التآليف العديدة والأقوال السديدة.
 - 3- مسند العصر محمد ياسين الفاداني كما وسمه شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله.
- وغيرهم كثير وفي ذكر هؤلاء الأعلام كفاية إذ هم رؤوس الدراية والرواية.

للشيخ مؤلفات كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط وهذه بعض منها:

1- رسالة في التجنس.

2- باردو المنتزه مدينة الملك.

3- مناقب محرز بن خلف.

4- رسالة في الكلام عن الصفة النفسية.

5- رسالة في تحريم الخمر.

وأخرج كثيراً من نفاثس المخطوطات وحققها مثل:

1- المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري.

2- قطعة من موطأ ابن زياد وهو من أهم الموطآت وعليه فوائد كثيرة من تحقیقاته.

3- أمّ القرى في مدح خير الوري.

4- الشقراطسيّة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

5- مسامرات الظريف في حسن التعريف للإمام السنوسي زاد فيه ترجمة والده.

6- إصابة الغرض وإزالة الشبهة عمن اعترض للشيخ قويسم.

وله ديوان يستر الله طبعه للتداول بين أيدي الناس وأهم ما في هذا الديوان النبويات

وأخص ما في النبويات التوسلات ومنها قوله:

إليك رسول الله أرفع حاجتي فهذه الكروب قد أحاطت بساحتي

وإني راجٍ قد وقفت ببابكم وإن رجائي في إزالة كربتي

قاله أثناء مرضه بالتيفوئيد وهو ابن خمسة عشر سنة فبرء.

وخرج أخيراً كتاب لمجموعة من علماء تونس اسمه "دراسات" ذكروا فيه كثيراً من مناقب

الشيخ وهو خاص به.

خصائصه:

امتاز شيخنا بخلق حضاري رفيع المستوى قل نظيره، وكرم حاتمي بضيوفه وزائريه، فيتحمل هفواتهم في سماحة وصبر ويبدل في إكرامهم كل نفيس، فبارك الله له في حياته وعمره وانتفع بطول عمره غاية الانتفاع كما جاء في الحديث، فجازاه الله عنا وعن المسلمين ما جازى به العلماء والصالحين بمنه وكرمه أمين.

وفاته:

بعدها تم دراسة وتحقيق الصلاة المشيشة للقبط سيدي عبد السلام بن مشيش شرح العلامة الخروبي وذلك على يد مولانا الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله بمساعدة الفقير إلى ربه العلامة أحمد بن منصور قرطام دخل الشيخ رحمه الله مصحة التوفيق في الضاحية الغربية لتونس وذلك إثر نوبة صدرية حادة وادخل العناية المركزة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى وذلك يوم الخميس على الساعة 4.30 صباحاً 4 شعبان 1418 هجري الموافق له 1997/12/4 رومي ووقف على تغسيله العبد الفقير العلامة أحمد بن منصور قرطام بحضرة ابنه عبد العظيم والحبيب منير خلف وسيدتين آخريين قاما بمشاركته وتم تشييع جثمانه الطاهر من منزله الكائن في منطقة مونفلوري من الضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية باتجاه مقبرة الجلاز حيث مثواه الأخير وذلك يوم الجمعة المبارك 5 شعبان 1418 هـ الموافق له 1997/12/5 مع الساعة العاشرة صباحاً بحضور عدد حاشد من الجماهير التونسية والشخصيات المحلية من علماء ووزراء ونواب ومفكرين ومثقفين وسفراء كثر من الدول العربية والإسلامية كالمغرب والأردن واندونيسيا وماليزيا وغيرهم وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مكانة الشيخ من قلوب الخاصة والعامة، وبعد وصوله إلى مقبرة الجلاز صلى عليه مفتي الجمهورية التونسية فضيلة العلامة الشيخ محمد مختار السلامي وأبنته وزير الشؤون الدينية على الشابي وقام بدفنه رحمه الله كل من أبناؤه محمد الطاهر وعبد المهيمن وعياض وعبد العظيم وأنس بن العربي العنابي والعبد الفقير العلامة

أحمد منصور قرطام إلى أن تم مواراته تحت الشرى وتلقيه تغمده الله برحمته وجزاه عنا وعن المسلمين كل خير وبذلك قد فقد التونسيون خاصة والمسلمون عامة أحد أهم أقطاب العلم في هذا القرن والله الأمر من قبل ومن بعد وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نفعنا الله بعلومه وأفاض علينا من بركاته
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلّى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم

27 رمضان 1428 هجري الموافق له 8 أكتوبر 2007 رومي

أم القرى في مدح خير الورى (القصيدة الهمزية)

سمو المقام النبوي

كَيْفَ تَرَقَى رُؤْيَاكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ⁽²⁾
 لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلاكَ وَقَدْ حَا لَ سَنَا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَا⁽³⁾
 إِمَّامًا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ سِ كَمَا مَثَلِ النَّجُومِ الْمَاءُ⁽⁴⁾
 أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْ لِدُرِّ إِلَّا عَنِ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءِ⁽⁵⁾
 لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْعِيَاءِ بِ وَمِنْهَا لِآدَمَ الْأَسْمَاءِ⁽⁶⁾

نسبه وميلاده

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكُونِ تُحْتَا رُ لَكَ الْأُمَمَاتُ وَالْآبَاءُ⁽⁷⁾
 مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بِشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ⁽⁸⁾
 تَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلِيَاءُ بَعْدَهَا عَلِيَاءُ⁽⁹⁾

(2) كيف: استفهام مراد به النفي، أي لا ترقى رؤيتك الأنبياء، وبها سماء: أي يا مرتبة ما طاولتها ما غالبتها سماء الأنبياء.

(3) أي لم يساوه في شرفه الأنبياء لما منعمهم من اللحاق به، سنا وسناء وهما الضوء والرفعة.

(4) ومعنى هذا البيت أن الواصفين لضبط صفاتك مثلهم في وصفهم كتمثيل الماء للنجوم.

(5) ومعنى البيت: أنت كالمصباح في الكمالات، ومنه تستمد.

(6) يفيد هذا البيت أن آدم علم الأسماء وأنت علمت الأسماء والمسميات.

(7) فكما طابت ذاته طاب نسبه.

(8) أشار في هذا البيت إلى تبشير الأنبياء ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(9) تتباهى بك العصور: تفتخر.

- وَبَدَا لِلْوَجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلَا بِحُلَاةِ
حَبْدًا عَقْدُ سُؤْدِدٍ وَفَخَارٍ
وَمُحْيِيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءٌ
لَيْلَهُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدَّيِّ
وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهُوَاتِفِ أَنْ قَدْ
وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْلَا
وَعَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ
وَعُيُونٌ لِلْفَرَسِ عَارَتْ فَهَلْ كَا
مَوْلِدُكَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْرِ
فَهَنِيئًا بِهِ لِأَمْنَةِ الْفَضْلِ
- مِنْ كَرِيمِ آبَاؤُهُ كَرَمَاءُ⁽¹⁰⁾
فَلَدَتْهَا جُومَهَا الْجَوْرَاءُ⁽¹¹⁾
أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَمَاءُ⁽¹²⁾
أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ⁽¹³⁾
مِنْ سُرُورٍ بِيَوْمِهِ وَازْدَهَاءُ⁽¹⁴⁾
وُلِدَ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهِنَاءُ⁽¹⁵⁾
آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ⁽¹⁶⁾
كُرْبَةً مِنْ حُمُودِهَا وَبَلَاءُ⁽¹⁷⁾
نَ لِيَبْرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ⁽¹⁸⁾
رٍ وَبَالَ عَلَيِهِمْ وَوَبَاءُ⁽¹⁹⁾
لِ الَّذِي شُرِفَتْ بِهِ حَوَّاءُ⁽²⁰⁾

(10) وبدا للوجود منك كريم: ظهر للوجود منك بوجودك كريم سالم من النقص، والكرم متسلسل فيه من أبويه ومن فوقهما.

(11) فنسبه كامل فمن تأمل فيه حسبه كالنجوم التي قلدتها الجوزاء حلاها.

(12) معناه: نسبه صلى الله عليه وآله وسلم كالقلادة من الجواهر وهو واسطتها.

(13) ومحيا معطوف على عقد، أي حيدا محيا مثل الشمس أسفرت عنه ليلة المولد الغراء.

(14) فليلة المولد ليلة شُرِفَتْ بميلاده فكان للدين سرور بيومه وافتخار.

(15) أفاد أنه تابعت البشارة من الهواتف بميلاده، والهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه.

(16) ومن آيات ميلاده إشراف إيوان كسرى على السقوط وسقوط أربع عشرة شرافة.

(17) ومن آيات الميلاد حمود نار بيوت الفرس التي كانوا يعبدونها.

(18) ومن عجائب ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم أن عيون الماء غارت.

(19) ومنها أن هذا المولود دل على وبال الكفر.

(20) ثم هنا أمة بالفضل الذي حصل لها وثبت، وهي أمنة بنت وهب.

- مَنْ لِحِوَاءِ أُمَّهَا حَمَلْتُ أَحَدًا
يَوْمَ نَأَلْتُ يَوْضَعِهِ ابْنَةً وَهَبِي
وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ مِمَّا
شَمَّيْتَهُ الْأَمْلَاحُ إِذْ وَضَعْتَهُ
رَافِعاً رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْعِ
رَامِقاً طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَمَرَمِي
وَتَدَلَّتْ زُهُرُ النُّجُومِ إِلَيْهِ
وَتَرَاءَتْ قُصُورٌ قَيْصَرَ بِالرُّومِ
- مَدَّ أَوْ أُمَّهَا بِهِ نَفْسَاءُ⁽²¹⁾
مِنْ فَخَّارٍ مَا لَمْ تَنْلُهُ النَّسَاءُ⁽²²⁾
حَمَلْتُ قَبْلَ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءُ⁽²³⁾
وَشَمَّيْنَا بِقَوْلِهَا الشَّمَاءُ⁽²⁴⁾
عَ إِلَى كُلِّ سُؤْدَدٍ إِيْمَاءُ⁽²⁵⁾
عَيْنٍ مِّنْ شَأْنِهِ الْعُلُوُّ الْعَلَاءُ⁽²⁶⁾
فَأَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا الْأَرْجَاءُ⁽²⁷⁾
مِ يَرَاهَا مَن دَارَهُ الْبَطْحَاءُ⁽²⁸⁾

رضاعه وعجائبه

- وَبَدَّتْ فِي رِضَاعِهِ مُعْجَزَاتٌ
لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعِيُونِ خَفَاءُ⁽²⁹⁾

(21) ثم إن حواء وان اشتركت مع أمية في الشرف فأمنة أشرف.

(22) وقد نالت أمية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بسبب الميلاد ما لم تنله النساء.

(23) وأتت أمية قومها بأفضل مما ولدته مريم وهو عيسى عليه السلام.

(24) شمتته الملائكة: قالت له رحمك الله، والشفاء قابلية، وهي أم عبد الرحمن ابن عوف أحد المبشرين بالجنة، وقولها ما أخرجه أبو نعيم وخلاصته إرهصاص ميلاده.

(25) أفاد أن رفع النبي رأسه حين الولادة إشارة إلى رفعة وسيادته.

(26) وفي وضعه وبصره ناظر إلى السماء إشارة إلى أنه لا يقصد إلا أعلى المراتب.

(27) وحين وضعه تدلت وذنت النجوم المضيئة فأضأت بضوئها نواحي السماء.

(28) ومن آيات ميلاده أن قصور قيصر ريفت فرأها من داره بمكة.

(29-30) ابتداء من هنا في ذكر عجائب رضاعه ومعجزاته فأفاد أنه ظهرت برضاعه معجزات لا تخفى، والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة، ويسمى ما قبل البعثة: إرهصاصاً، وبعدها: معجزة، وقد أبته المرضعات لبيته، والغناء النفع، وإنما نشأ يتيماً لئلا يكون في عنقه حق، وبعد أن تركته المرضعات جاءت من آل سعد فتاة هي حليلة السعدية وأرضعته.

- إِذْ أَبْتَنَّهُ لِئْتِمِهِ مُرْضِعَاتٌ
قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا عَنَاءٌ⁽³⁰⁾
- فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ
قَدْ أَبْتَهَا لِقَرِّهَا الرُّضْعَاءُ⁽³¹⁾
- أَرْضَعَتْهُ لِبَانَتِهَا فَسَمَّتَهَا
وَبَيْنَهَا أَلْبَانُهُنَّ الشَّاءُ⁽³²⁾
- أَصْبَحَتْ شُؤلاً عِجافاً وَأَمْسَتْ
مَا بَهَا شَائِلٌ وَلَا عَجْفَاءُ⁽³³⁾
- أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحَلٍ
إِذْ عَادَ لِللَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ⁽³⁴⁾
- يَا هَا مِنَّةٌ لَقَدْ ضُوعِفَ الْأَجْرُ
رُ عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ⁽³⁵⁾
- وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَهِهُ أَنْاساً
لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعْدَاءُ⁽³⁶⁾
- حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَايِلَ وَالْعَصْـ
فُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعْفَاءُ⁽³⁷⁾
- وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ
وَبَهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرْحَاءُ⁽³⁸⁾
- إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللّهِ
هِ فَظَنَّتْ بِأَنَّهُمْ قُرَّاءُ⁽³⁹⁾

(32) ومن كرامة هذا المولود أن حلّمة بعدما كانت في حذب سقطتها الشاء وهي جمع شاة.

(33) ومن كرامته أيضاً أن الشاء كانت لا لبن لها وهي عجاف أي هزيلة فلما أمسّت ليس فيها شائل ولا عجفاء، فتبدل الحال.

(34) الخصب ضد الجذب، ومن كرامته أن العيش أخصب بعد الجذب عند حلّمة، وخصوية العيش كثرة القوت، والمخل: شدة الجذب وانقطاع المطر.

(35) قد تعجب من منة حلّمة بالإرضاع دون أجر فجزاها الله بالخصب بعد المخل.

(36) وإذا وفق الله أناساً لخدمة سعيد فإنهم بسبب ذلك سعداء.

(37) وشبه الناظم ما حصل لها من الخير مع أن ما قدمته قليل بالحبة المبدورة التي تضاعف إنتاجها والعصف الورق اليابس.

(38) وحين أرجعته لجدّه كان وحدها لفرافقه التأم الكثير وهو البرحاء.

(39) وأرجعته لجدّه حين خافت عليه عندما أتته الملائكة الذين شقوا صدره.

- وَرَأَى وَجَدَهَا بِهِ وَمِنَ الْوَجْهِ
دَلَّيْبٌ تَضَلَّى بِهِ الْأُحْشَاءُ⁽⁴⁰⁾
- فَارْقَتْهُ كَرْهَاءً وَكَانَ لَدَيْهَا
تَأْوِيلاً لَا يُمَلُّ مِنْهُ الشَّوَاءُ⁽⁴¹⁾
- شُقِّ عَنِ قَلْبِهِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ
مُضْعَةٌ عِنْدَ عَسَلِهِ سَوْدَاءُ⁽⁴²⁾
- خَتَمَتْهُ يُمْنَى الْأَمِينِ وَقَدْ أَوْ
دِعَ مَا لَمْ تُدْعَ لَهُ أَنْبَاءُ⁽⁴³⁾
- صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلَا الْفُ
ضُ مُلِمٌّ بِهِ وَلَا الْإِفْضَاءُ⁽⁴⁴⁾

نشأته في حال طفولته وما بعدها

- أَلْفَ النُّسُكِ وَالْعِبَادَةَ وَالْحُلَّةَ
وَهَ ظِفْلًا وَهَكَذَا التُّجْبَاءُ⁽⁴⁵⁾
- وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبًا
نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ⁽⁴⁶⁾

حجب الشياطين عند دنو البعثة

- بَعَثَ اللَّهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهُ
بَ حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا
تَطْرُدُ الْجِنَّ عَنِ مَقَاعِدَ لِلْسَّمِ
عِ كَمَا تَطْرُدُ الذَّبَابَ الرِّعَاءُ⁽⁴⁷⁾

(40) ورأى جده عبد المطلب شدة وجددها ومحبتها له فردده لها وهذا في المرة الأولى.

(41) وحين ردهته حليلة المرة الثانية خوفاً عليه من الجن لما شق صدره لم يرجعه إليها جده ففارقته كرها.

(42) لما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق صدره وإخراج مضغعة سوداء منه، والمضغعة قطعة لحم قدر ما يمضغ.

(43) ثم بعد شق صدره لأُمَّتُهُ وأعادته بمعنى الأمين أي جبريل وأودع فيه ما لم تحط به أخبار.

(44) حفظ أسرار قلبه المودع فيه الختام الواقع من جبريل فلا يناله الكسر ولا الإشاعة.

(45) وقد أثر شق قلبه فألف العبادة والحلوة وهكذا النجباء.

(46) وإنما كان هذا شأن النجباء لأن الهداية إذا حلت القلب نشطت الأعضاء.

(47) لما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحرست السماء بالشهب، وهي جمع شهاب، وهو شعلة من النار تنفصل من الكواكب

تتحرق الشيطان.

(48) وهذه الشهب تطرد الجن الذين يجلسون في أمكنة قريبة لاستراق السمع كما يطرد الرعاة الذباب العادية.

- فَمَحَتْ آيَةَ الْكَهَانَةِ آيَا
وَرَأَتْهُ خَدِيجَةً وَالتَّقَى وَالـ
وَأَتَاهَا أَنَّ الْعَمَامَةَ وَالسَّرُ
وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعَدَ رَسُولُ
فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوْجِ وَمَا أَحـ
وَأَتَاهُ فِي بَيْتِهَا جَبْرَائِيلُ
فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْحِمَارَ لِتَدْرِي
فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسَ جَبْرِيـ
فَاسْتَبَانَ خَدِيجَةً أَنَّ الْكَنـ
- تُ مِنَ الْوَحْيِ مَا هُنَّ إِحْيَاءُ⁽⁴⁹⁾
زُهِدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ⁽⁵⁰⁾
حَ أَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ⁽⁵¹⁾
اللَّهُ بِالْبُعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ⁽⁵²⁾
سَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُتَى الْأَذْكَيَاءُ⁽⁵³⁾
وَلِذِي اللَّبِّ فِي الْأُمُورِ اِزْتِيَاءُ⁽⁵⁴⁾
أَهُوَ الْوَحْيِ؟ أَمْ هُوَ الْإِعْمَاءُ⁽⁵⁵⁾
لُ فَمَا عَادَ أَوْ أُعِيدَ الْغَطَاءُ⁽⁵⁶⁾
رُ الَّذِي حَاوَلْتَهُ وَالْكِيمِيَاءُ⁽⁵⁷⁾

(49) وبسبب ذلك محت آيات الوحي الكهانة، وآيات الوحي لا ينالها الخو.

(50) أفاد هذا البيت وما بعد زواجه بخديجة رضي الله عنها، وذكر هنا أن الذي دعاها إلى الزواج به ما عرفته من سحاياة الكريمة من التقى والزهد، والحياء، وخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

(51) أتى الخبر إلى خديجة أن كرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة:

1- أن الغمامة أظلته، والغمامة هي السحابة.

2- أن السرح وهي الشجر العظام أظلته حين مال إليه الفيء منها حين وصلوا إلى بحيرا.

(52) وأتى خديجة أن وقت البعثة قرب.

(53) وبسبب ما رآته منه وما بلغها عنه رغبت في الزواج به، فقد أدركت بزواجها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب ذكائها ما تمتته وأملته.

(54) ومما يدل على عظم ذكائها أن جبريل لما أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحب أن تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين. وعلم اليقين علم الحاصل من الدليل، وعين اليقين العلم الحاصل بالمشاهدة وصاحب العقل له استبصار.

(55) وحين جاء جبريل أزاحت عن رأسها الحمار وهو ما يغطي به الرأس لتشاهد وبذلك تبين أنه وحي لا إغماء.

(56) واختمت جبريل عند كشف رأسها ولم يعد إلا بعد تغطية رأسها.

(57) وبسبب ما ترتب على ذلك علمت أنه الكنز الذي رغبت فيه.

الجِدِّ فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ

- ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ
أُمَّماً أَشْرَبَتْ قُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ
وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا
رَبِّ إِنَّ الْهُدَى هُذَاكَ وَآيَا
كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَعْقِلُ قَدْ أَلَّ
إِذْ أَبِي الْفِيلِ مَا أَتَى صَاحِبِ الْفِيءِ
وَالْجَمَادَاتِ أَفْصَحَتْ بِالَّذِي أُخِ
وَبِحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيّاً بِأَرْضِ
- وَفِي الْكُفْرِ بَجْدَةٌ وَإِبَاءٌ⁽⁵⁸⁾
رَ فَدَاءُ الضَّلَالِ فِيهِمْ عِيَاءٌ⁽⁵⁹⁾
وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْمِرَاءُ⁽⁶⁰⁾
تَبِكَ نُورٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ⁽⁶¹⁾
هِمْ مَا لَيْسَ يُلْهَمُ الْعُقْلَاءُ⁽⁶²⁾
لِ وَمَنْ يَنْفَعِ الْحِجَا وَالذِّكَا⁽⁶³⁾
رِسَ عَنْهُ لِأَحْمَدَ الْفُصْحَاءُ⁽⁶⁴⁾
أَلْفَتَهُ ضَبَابُهَا وَالظَّبَاءُ⁽⁶⁵⁾

الهجرة

- وَسَأَلُوهُ وَحَنَّ جِدْعٌ إِلَيْهِ وَقَالُوا وَوَدَّهَ الْعُرَبَاءُ⁽⁶⁶⁾

(58) جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نشر الدعوة رغم تحزب الكفرة لما نزل عليه قوله تعالى: "يا أيها المدثر قم فأندر".

(59) أُمَّماً: مفعول يدعو، وأفاد أن الأمم أي الجماعات التي يدعوها تمكن الكفر فيها فداء الكفر فيهم لا يرجى برؤه.

(60) أشار في هذا البيت إلى أمة الإجابة وهم الذين شاهدوا معجزاته فاهتدوا وهم الصحابة ومن بعدهم لأنه إذا جاء الحق زال العناد.

(61) الهدى بتوفيق الله تعالى كما أن الضلالة بمشيئته.

(62) ويدل على أن الهداية هداية الله أن ما لا يعقل قد ألهم ما ليس يعقله العقلاء.

(63) وذلك أن الفيل الذي جيء به لهدم الكعبة امتنع ما عزم عليه صاحبه وهو أبرهة.

(64) وكذلك حين امتنعت قريش من الإيمان أفصح الجماد كالجدع الذي حن إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

(65) أشلك الله القوم الذين جفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه ألقه الضب والغزال وحديثهما لا أصل لهما.

(66) وسلا عنه قومه وحن إليه الجذع الذي يستند إليه حين يحطّب وأبغضوه وأحبه الغبراء وهم الأنصار: الأوس والخزرج الذين لقوه قبل

الهجرة بثلاث سنين فتمت العقبان الثلاث.

أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَأَوَاهُ غَارٌ
وَكَفَّتْهُ بِنَسِجِهَا عَنكُبُوتٌ
وَاخْتَفَى مِنْهُمْ عَلَى فُرْبٍ مَرَا
وَحَيَّ الْمُصْطَفَى الْمَدِينَةَ وَأَشْتَا
وَوَعْنَتْ بِمَدْحِهِ الْجِنُّ حَتَّى
وَاقْتَفَى إِثْرَهُ سُرَاقَةٌ فَاسْتَهَتْهُ
ثُمَّ نَادَاهُ بَعْدَمَا سِيَمَتِ الْحَسْبُ
وَحَمَّتْهُ حَمَامَةٌ وَرَفَاءٌ⁽⁶⁷⁾
مَا كَفَّتْهُ الْحَمَامَةُ الْخُصْدَاءُ⁽⁶⁸⁾
هُدًى وَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخُفَاءُ⁽⁶⁹⁾
قَتَّ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الْأَنْخَاءُ⁽⁷⁰⁾
أَطْرَبَ الْإِنْسَ مِنْهُ ذَاكَ الْغِنَاءُ⁽⁷¹⁾
وَتَهُ فِي الْأَرْضِ صَافِقٌ جَرْدَاءُ⁽⁷²⁾
فَ وَوَقَدْ يُنَجِّدُ الْعَرِيقَ النَّدَاءُ⁽⁷³⁾

الإسراء والمعراج

فَطَلَّوْى الْأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَوَا
فَصِيفِ اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ لِلْمُخَا
تُ الْعُلَا فَوْقَهَا لَهُ إِسْرَاءُ⁽⁷⁴⁾
تَارِ فِيهَا عَلَى الْبُرَاقِ اسْتِوَاءُ⁽⁷⁵⁾

(67) وحين أذن له صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة خرج من مكة واختفى في غار ثور ومعه أبو بكر، وحين دخل الغار أنبت الله عليه شجرة أم غيلان ووقف في قم الغار حمامتان.

(68) وكما حمته الحمامتان كذلك حمته العنكبوت بنسجها والحمامة الخصداء كثيرة الريش.

(69) ولم يظفروا به حين اختفائه فكان من شدة الظهور لحناءة الله به وكان مكته في الغار ثلاث ليال.

(70) قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة يوم الاثنين غرة ربيع الأول (13 سبتمبر 622م) ودخل قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول (20 سبتمبر) وكانت مدة سفره ثمانية أيام.

(71) وتغنت الجن شعراً علم منه أهل بيت أبي بكر المكان المقصود من الهجرة.

(72) وتابع أثره سراقاة بن مالك المدلجي وقد أسلم عام الفتح وحين دنا منهما عثرت به فرسه ثم قام فركبها فدعا عليه صلى الله عليه وآله وسلم فغاصت قوائم فرسه في الأرض.

(73) وحين خسفت الأرض بفرس سراقاة استنجد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له فنجاه الله من الخسف لأن الغريق ينجده النداء.

(74) تحدث على الإسراء بعد الهجرة، وهو قبل الهجرة، وقد طويت له صلى الله عليه وآله وسلم الأرض والسماوات حين الإسراء والمعراج، والمعارج عشرة.

(75) أمر الناظر أن يصف ليلة الإسراء والمعراج، والإسراء من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج من بيت المقدس إلى السماء إلى ما شاء الله،

وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ — مِنْ وَتِلْكَ السِّيَادَةُ الْقَعَسَاءُ⁽⁷⁶⁾
 رَبِّ تَسْفُطُ الْأَمَانِي حَسْرَى — دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ⁽⁷⁷⁾
 ثُمَّ وَاقِيَ يُحَدِّثُ النَّاسَ شُكْرًا — إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النَّعْمَاءُ⁽⁷⁸⁾

التبليغ والدعاء إلى الله

وَتَحَدَّى فَارْتَابَ كُلُّ مُرِيْبٍ — أَوْ يَبْقَى مَعَ السُّيُولِ الْعُغَاءُ⁽⁷⁹⁾
 وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِلَهِ وَإِنْ شَاءَ — فَقَّ عَلَيْهِ كُفْرٌ بِهِ وَازْدِرَاءُ⁽⁸⁰⁾
 وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّو — حِيدٍ وَهُوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ⁽⁸¹⁾
 فِيمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِأَنْتَ — صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَاءُ⁽⁸²⁾
 وَأَسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍِ وَقَفَّحٍ — بَعْدَ ذَلِكَ الْخُضْرَاءُ وَالْعَبْرَاءُ⁽⁸³⁾

وكان الإسراء والمعراج بالجسم والروح.

(76) وقرب صلى الله عليه وآله وسلم من ربه وشبه ذلك القرب المعنوي بقاب قوسين والقاب من القوس ما بين محل مسكه باليد عند

الرمي وهو وسطه وبين آخره وهو الخل الذي يربط فيه الوتر.

(77) ونوه بهذه الرتب العظيمة الجليلة التي نالته في تلك الليلة ولا تصل لتلك الرتب الأمان.

(78) ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما وصل مكة قبل الصبح وحدث الناس بنعمة الله وهي كرامة الإسراء والمعراج وحين كذبوه ظهر صدقه

بما أزال كل شيء.

(79) وتحدى كفار مكة بالإسراء والمعراج وغيره من معجزاته بما أعجزهم به فانقطعت حجتهم، وكيف يبقى مع السيل الجارف الغناء وهو

ما يجمله السيل من النبات.

(80) تحدى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو إلى الله ومتحمل لمشقة الإنكار من الكفر والاستهزاء. وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه

الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(81) وهو يدل على توحيد الله تعالى كافة الخلق لأنه مرسل إليهم جميعاً وما دعا إليه هو الطريق الواضحة.

(82) وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي

من قلوبهم.

(83) وبعد أن لانوا لدعوته صلى الله عليه وآله وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجاً استجاب لدعوته الخضراء وهي السماء، والغبراء

وهي الأرض أي استجاب له الرفيع والوضيع.

وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرُ
بَاءُ وَالْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ⁽⁸⁴⁾
وَتَوَالَاتِ لِلْمُصْطَفَى الْآيَةَ الْكُبْرَى
رَى عَلَيْهِمُ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ⁽⁸⁵⁾
وَإِذَا مَا تَلَا كِتَاباً مِنَ اللَّهِ
تَلْتَهُ كَتِيْبَةً خَضْرَاءُ⁽⁸⁶⁾

كفاية الله تعالى له

وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَاءَ
ءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتِهْزَاءُ⁽⁸⁷⁾
وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فَنَاءٍ
الْبَيْتِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ⁽⁸⁸⁾
خَمْسَةٌ كُلُّهُمْ أُصِيبُوا بِدَاءٍ
وَالرَّذَى مِنْ جُنُودِهِ الْأَدْوَاءُ⁽⁸⁹⁾
فَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ أَيُّ
عَمَى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ⁽⁹⁰⁾
وَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَعُوثٍ
أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّذَى اسْتِسْقَاءُ⁽⁹¹⁾
وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَدَشَةٌ سَهْمٍ
قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيْةُ الرَّقْطَاءُ⁽⁹²⁾
وَقَضَّتْ شَوْكَةً عَلَى مُهْجَةِ الْعَا
صِي فَلِلَّهِ النَّفْعَةُ الشُّوْكَاءُ⁽⁹³⁾

(84) وأطاعت أي استجاب له العرب العرباء وهم النخس والجاهلية الجهلاء.

(85) وتوالت وتابعت له الآيات الكبرى الدالة على نبوته كالقرآن وانشقاق القمر وتوالت على الأعداء الغارة الشعواء أي المحيطة بهم.

(86) وإذا تلا صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تبعه جيش عظيم.

(87) وكفاه ربه تعالى الذين اشتدت إذابتهم له من المستهزئين وهم جماعة من قومه.

(88) وأصاحم صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته فأهلكتهم حيث دعا عليهم بفناء الكعبة فأفناهم.

(89) وخص الناظم خمسة من المستهزئين وإن كانوا أكثر من ذلك مثل أبي لب وعبقة بن أبي معيط، فأصابتهم أدواء أي أمراض.

(90) ثم شرع في ذكر الأمراض التي أصيبوا بها، فأصاب الأسود بن مطلق بن أسد العمى الذي أهلكه.

(91) كما دهمي الأسود بن عبد يعوث بن وهب فحصل له استسقاء في جوفه فمات منه.

(92) وأصاب الوليد بن المغيرة خدشة سهم فتأكلت رجله فمات وهذه الخدشة أشد من السهم.

(93) وقضت شوكة على العاص بن وائل دخلت في أخمص رجله فمات بسببها.

وَعَلَى الْحَارِثِ الْقُيُوحِ وَقَدْ سَا
خَمْسَةَ طُهُرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْ

لَ بِحَارِثِ رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوَعَاءُ⁽⁹⁴⁾
ضُ فَكَفَّ الْأَذَى بِهِمْ شِئَاءً⁽⁹⁵⁾

نقض الصحيفة

فُذِيتْ خَمْسَةُ الصَّحِيفَةِ بِالْحَمِّ
فَنَيْتُهُ بَيَّتُوا عَلَيَّ فَعَلِ خَيْرٍ
يَالَ أَمْرٍ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ
وَزُهَيْرٍ وَالْمُطْعِمِ بِنُ عَدِيِّ
نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَا
أَذْكُرْتَنَا بِأَكْلِهَا أَكْمَلِ مَنَسَا
وَهَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ وَكَمْ أَخَا

سَةِ إِنْ كَانَ بِالْكَرَامِ فِدَاءً⁽⁹⁶⁾
حَمَدَ الصُّبْحِ أَمْرَهُمْ وَالْمَسَاءِ⁽⁹⁷⁾
زَمَعَةَ إِنَّهُ الْفَتَى الْأَثَاءِ⁽⁹⁸⁾
وَأَبُو الْبُحْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا⁽⁹⁹⁾
دَّتْ عَلَيْنِهِمْ مِنَ الْعِدَا الْأَنْدَاءِ⁽¹⁰⁰⁾
ةِ سُلَيْمَانَ الْأَرْضَةَ الْخُرَسَاءِ⁽¹⁰¹⁾
رَجَّ حَبْأَلَهُ الْعُيُوبُ حَبَاءً⁽¹⁰²⁾

(94) وقضت على الحارث مولى الطلائعة القيوح التي سالت من رأسه.

(95) فهؤلاء الذين استحبت الدعوة فيهم طهرت منهم الأرض فكف الأذى شلاء بسبب هلاكهم.

(96) سأل الناظم أن يجعل الله سبحانه وتعالى الخمسة المالكين للخمسة الذين نقضوا الصحيفة فداء. وقصة الصحيفة أن بني هاشم وبني المطلب لما امتنعوا من تسليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاطعتهم قريش بكتابة صحيفة في جوف الكعبة، وكان ذلك سنة 7 سبع من البعثة، فأقام المقاطعون سنتين أو ثلاثاً حتى اشتد عليهم البلاء، فقام هؤلاء الخمسة ونقضوا الصحيفة، وأشار إلى عزمهم على نقض الصحيفة في البيت التالي.

(97) فأخبر أنهم كرام دبروا نقضها، وحين أريد نقضها أكلتها الأرضة أي السوس.

(98) ياله من أمر أتاه هشام بن الحارث وبعده زمعة بن الأسود.

(99) ذكر في هذا البيت بقية الخمسة وهم زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأبو البحتري.

(100) فهؤلاء الكرام نقضوا ما أبرم في الصحيفة حين صممت عليه من العداة الأنداء جمع ناد، وهو العشيبة.

(101) أفاد أن لأكل الأرضة الصحيفة نظيراً هو أكلها لمنسأة سليمان والمنسأة: العصا.

(102) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرضة أكلت صحيفة المقاطعة ولم تبق إلا اسمه تعالى، وكم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات كظهور نار الحجاز.

عناية الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم

لَا تَحُلْ جَانِبَ النَّبِيِّ مَضَامًا	حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمْ الْأَسْوَاءُ ⁽¹⁰³⁾
كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيِّينَ فَالْتَبَّ	دَّهُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَالرَّحَاءُ ⁽¹⁰⁴⁾
لَوْ يَمَسُّ النَّضَارَ هَوْنٌ مِنَ النَّا	رِ لَمَا اخْتِيرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاءُ ⁽¹⁰⁵⁾
كَمْ يَدٍ عَنِ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللَّهُ	وَفِي الْخَلْقِ كَثْرَةٌ وَاجْتِرَاءُ ⁽¹⁰⁶⁾
إِذْ دَعَا وَحَدَّهُ الْعِبَادَ وَأَمَسَتْ	مِنْهُ فِي كُلِّ مُقْلَةٍ أَفْدَاءُ ⁽¹⁰⁷⁾
هَمَّ قَوْمٌ بِمَقْتَلِهِ فَأَبَى السَّيِّ	فُ وَفَاءٌ وَفَاءَتِ الصَّفْوَاءُ ⁽¹⁰⁸⁾
وَأَبُو جَهْلٍ إِذْ رَأَى عُنُقَ الْفَحْ	لِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعَنْقَاءُ ⁽¹⁰⁹⁾
وَأَقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دِينَ الْإِرَاشِ	يِّ وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشِّرَاءُ ⁽¹¹⁰⁾
وَرَأَى الْمُصْطَفَى أَنَّهُ بِمَا لَمْ	يُنْجِ مِنْهُ دُونَ الْوَفَاءِ النَّجَاءُ ⁽¹¹¹⁾
هُوَ مَا قَدَرَاهُ مِنْ قَبْلِ لَكِنْ	مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْحَطَاءُ ⁽¹¹²⁾

(103) لا تظن جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضاماً أي مضيعاً حين مسه الأذى من المشركين.

(104) وما أصابه من الشدة له فيه أسوة بالأنبياء عليهم السلام، لكن كل أمر أصاب النبيين فالشدة محمودة لأنها ترفع درجاتهم، وكذلك الرعاء.

(105) الأنبياء كالذهب الذي لا يمسه العيب بعرضه على النار، فلا يلحقهم هوان بالشدائد التي تنالهم.

(106) كم يد أرادت إذايته فكفها الله عنه وخذلها، وفي الخلق أي المشركين كثرة إقدام.

(107) فحين دعا كل العباد إلى عبادة الله وترك الجهالات، دعاهم وحده، وبصيرة من يدعومهم في رين كالعين الرمداء.

(108) قد هم قوم يقتله صلى الله عليه وآله وسلم فامتنع السيف من ذلك، وكذلك الحجارة لم تصبه، والصفواء الحجارة.

(109) وكذلك أبو جهل عمرو بن هشام هم يقتله فرأى ما هاله فأحجم، والعنقاء طير عظيم.

(110) طلب صلى الله عليه وآله وسلم من أبي جهل أن يدفع دين الإراشي الذي باعه إبلا وماطله فلم يسع أبا جهل إلا أن يعطي الإراشي ما يطلبه لما رأى ما هاله وأخافه.

(111) وقد علم أبو جهل أنه لا نجاة له إلا أن يؤدي دين الإراشي.

(112) رأى أبو جهل في المرتين السابقتين فحلاً مهولاً ولكنه لم يتعظ فإن خطأه لا ينحصر.

- وَأَعَدَّتْ حَمَالَةَ الْحَطَبِ الْفِهُمَ
 يَوْمَ جَاءَتْ غَضِبِي تَقُولُ أَبِي مِثْ
 وَتَوَلَّتْ وَمَا رَأَتْهُ وَمِنْ أَيِّ
 تُمِّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةَ الشَّا
 فَأَذَاعَ الذِّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَأْ
 رَ وَجَاءَتْ كَأَنَّهَا الْوُرْقَاءُ⁽¹¹³⁾
 لِي مِنْ أَحْمَدٍ يُقَالُ الْهِجَاءُ⁽¹¹⁴⁾
 نَ تَرَى الشَّمْسَ مُقْلَةً عَمِيَاءُ⁽¹¹⁵⁾
 هَ وَكَمْ سَامَ الشَّمْوَةَ الْأَشْقِيَاءُ⁽¹¹⁶⁾
 رٍ بِنُطْقٍ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ⁽¹¹⁷⁾

من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم ومحاسن صفاته

- وَيُخْلِقِي مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمِ
 مَنْ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَا
 وَأَتَى السَّبْيِ فِيهِ أُخْتُ رِضَاعِ
 فَحَبَّأَهَا بِرَأً تَوَهَّمَتِ النَّا
 بَسَطَ الْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِذَائِ
 لَمْ تُفَاصِّصْ بِجَرَحِهَا الْعَجْمَاءُ⁽¹¹⁸⁾
 نَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِمْ رِيَاءُ⁽¹¹⁹⁾
 وَضَعَ الْكُفْرَ قَدْرَهَا وَالسِّبَاءُ⁽¹²⁰⁾
 سِ بِهَ أَمَّا السِّبَاءُ هِدَاءُ⁽¹²¹⁾
 أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَلِكَ الرَّذَائُ⁽¹²²⁾

- (113) وكذلك أم جميل بنت حرب حمالة الحطب أعدت الفهر أي الحجر لتضرب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
 (114) أعدت الحجر يوم جاءت غضبي حين نزلت فيها وفي زوجها سورة المسد.
 (115) لكنها حين جاءت لم تره، وأين ترى العين العمياء الشمس.
 (116) ثم بعد حفظه مما تقدم سمت له اليهودية الشاة في غزوة خيبر سنة سبع، ولم يخف عليه الأمر كما في البيت الآتي.
 (117) فأذاع الذراع له بأنه مسموم بنطق لم يسمعه من معه وإنما سمعه هو خاصة.
 (118) عدد الناظم من أخلاقه الكريمة جملة منها: الحلم، كهذه اليهودية التي لم يقتلها قصاصاً، وهذا على إحدى الروايتين وفي الأخرى أنه اقتض منها.
 (119) ومن خلقة الكريمة أن من على قبيلة هوازن تفضلاً وكرماً، وهوازن قبيلة حليمة السعدية حين غزاها بعد فتح مكة سنة ثمان فرفع الرق عن السبي.
 (120) وكان في السبي أخته من الرضاع فأكرمها كما يأتي:
 (121) فأعطى برأ بما جعل الناس يتوهمون أن السبي نساء عرس.
 (122) ومن إكرامه لأخته من الرضاع أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه فهنئها لها ذلك الإكرام.

فَعَدَّتْ فِيهِ وَهِيَ سَيِّدَةُ النَّسَاءِ	— وَوَةَ وَالسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءٌ ⁽¹²³⁾
فَتَنَزَّزَتْ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ	— هِ اسْتِمَاعًا إِنْ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءٌ ⁽¹²⁴⁾
وَأَمَّا السَّمْعُ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيهِ	— هَا عَلَيْكَ الْإِنشَادُ وَالْإِنْشَاءُ ⁽¹²⁵⁾
كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأَتْ بِهِ اسْتَوْ	— عَبَّ أَحْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءً ⁽¹²⁶⁾
سَيِّدُ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشَى	— فِي الْهُيُونَا وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ ⁽¹²⁷⁾
مَا سَوَى خُلُقِهِ النَّسِيمُ وَلَا عَيْفُ	— رَ مَحْيَاهُ الرُّوضَةُ الْعُنَّاءُ ⁽¹²⁸⁾
رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ	— وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءٌ ⁽¹²⁹⁾
لَا تَحُلُّ الْبِئْسَاءُ مِنْهُ عُرَى الصَّبْرِ	— رٍ وَلَا تَسْتَحِقُّهُ السَّرَّاءُ ⁽¹³⁰⁾
كَرَمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوءُ	— ءٌ عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ ⁽¹³¹⁾
عَظُمَتْ نِعْمَةُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ	— فَاسْتُثْقِلَتْ لِذِكْرِهِ الْعُظْمَاءُ ⁽¹³²⁾

(123) فصارت به أخته من الرضاع سيدة النساء.

(124) لما ذكر ما احتص به من كريم الخلال طلب من العلاء أن يتزهوا في سماع صفاته الذاتية وغيرها حيث لم تمكن مشاهدتها بالعين.

(125) إملاء السمع من محاسنه التي لا توجد عند غيره حين يملئها إنشاد الشعر.

(126) ومما يحملك على التنزه في ذاته ومعانيه أنك كلما ابتدأت بوصف له وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل واستوعبها.

(127) ذكر من شئامه في حسن ذاته أن ضحكه كان تبسماً ومشيه بسكينة ووقار، ونومه خفيف، فإنه تمام عينه ولا ينام قلبه.

(128) بعدما أتمى الكلام على محاسن ذاته الشريفة شرع في محاسن أخلاقه فذكر أن النسيم الذي به الحياة هو خلقه الكريم كما أن

وجهه هو الروضة الغناء وهي الكثيرة النبات والأزهار.

(129) وكله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء.

(130) لا تحل الشدة أسباب الصبر ويكفيك من صبره أن المشركين من قريش يوم أحد وقع منهم ما وقع فحين طلب منه الدعاء عليهم

قال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" ولا تخرجه عن ثباته ووقاره السراء.

(131) إنما اتصف بمجده الكمالات لأنه كرمت نفسه وطهرت من كل نقص فلا يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء.

(132) كانت نعمة الله عليه عظيمه، وبسبب ذلك كانت نعمه تعالى على غيره قليلة.

- جَهَلْتُ قَوْمَهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى
وَأَخُو الْحَلِيمِ دَابُّهُ الْإِغْضَاءُ⁽¹³³⁾
- وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا
فَهُوَ بَحْرٌ لَمْ تُعْيِهِ الْأَعْبَاءُ⁽¹³⁴⁾
- مُسْتَقِيلٌ دُنْيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ الْإِمَامُ
سَاكٌ مِنْهَا إِلَيْهِ وَالْإِعْطَاءُ⁽¹³⁵⁾
- شَمْسٌ فَضْلٌ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ
أَنَّهُ الشَّمْسُ رِفْعَةً وَالضِّيَاءُ⁽¹³⁶⁾
- فَإِذَا مَا ضَحَا مَحَى نُورُهُ الظِّلَّ
لَ وَقَدْ أَثْبَتَ الظَّلَالَ الضُّحَاءُ⁽¹³⁷⁾
- فَكَأَنَّ الْعِمَامَةَ اسْتَوْدَعْتَهُ
مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفَعَاءُ⁽¹³⁸⁾
- خَفِيَتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَانْجَا
بَتَ بِهِ عَنْ عُقُولِنَا الْأَهْوَاءُ⁽¹³⁹⁾
- أَمَعَ الصُّبْحِ لِلنُّجُومِ تَجَلٍّ
أَمَّ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ⁽¹⁴⁰⁾
- مُعْجَزُ الْقَوْلِ وَالْفَعَالِ كَرِيمُ
الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ مُسَيِّطٌ مِعْطَاءُ⁽¹⁴¹⁾
- لَا تَقْسُ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقًا
فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنَامُ إِضَاءُ⁽¹⁴²⁾
- كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ فَمِنْ فَضْلي
لِ النَّبِيِّ اسْتِعَارَهُ الْفُضْلَاءُ⁽¹⁴³⁾

(133) أغضى عمن آذاه من قريش وغيرهم رغم شدة إيذائهم له، وهذا الإغضاء دأب حال أخي الحلم فلا ينتقم.

(134) وسع صلى الله عليه وآله وسلم جميع العالمين علماً وحلماً فهو بحر في كمال صفاته لم تعيه الأعباء أي الأثقال.

(135) ومن أوصافه الكريمة أنه محترق للدنيا إمساكها وإعطائها.

(136) وهو شمس فضل فأضواء الفضل كلها مستمدة منه وقد تحقق أنه الشمس والضياء رفعة.

(137) وهو أقوى ضياء من الشمس فلذلك إذا ما ضحا أي مشى عقب طلوع الشمس محا نوره الظل.

(138) كأن الغمامة لما أظنته استودعته من أظلتهم الدفء وهم الصحابة وهذا إشارة إلى أن الأمة في ظله.

(139) وقد خفيت أمام فضائله كل الفضائل التي عند غيره وانكشفت بسببه عن عقولنا الأهواء أي الضلالات.

(140) استنفهم، هل يوجد مع الصبح للنجوم إشراق، وهل يبقى الظلام مع الصبح؟ فلا كمال مع كماله كذلك لا يبقى الضلال مع

هدايته.

(141) قوله معجز وكذا أفعاله وهو كريم في ذاته وأخلاقه وعادله وكثير العطاء.

(142) لا تقس أي أحد في الفضل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو البحر والأنام إضاء أي غدران.

(143) وكل فضل في جميع العالمين إنما استعاره الفضلاء منه.

من معجزاته

- شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَشُقَّ لَهُ الْبَدُّ
وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشاً
وَدَعَا لِلْأَنْامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ
فَاسْتَهَلَّتْ بِالْعَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ
تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرَّعِيِّ وَالسَّمِيِّ
وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا
فَدَعَا فَانْجَلَى الْعَمَامُ فَقُلَّ فِي
ثُمَّ أَتَى النَّاسُ فَفَرَّتْ عُيُونٌ
فَفَرَى الْأَرْضَ غَيْبَهُ كَسَمَاءٍ
تُحْجِلُ الدُّرَّ وَالْيَوَاقِيتَ مِنْ نَوِّ
- رُ وَمِنْ شَرِطٍ كُلِّ شَرِطٍ جَزَاءٌ⁽¹⁴⁴⁾
مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الْإِلْقَاءُ⁽¹⁴⁵⁾
سَنَةً مِنْ مُحُولِهَا شَهْبَاءُ⁽¹⁴⁶⁾
مِ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ⁽¹⁴⁷⁾
وَحَيْثُ الْعَطَاشُ تُوهَى السِّقَاءُ⁽¹⁴⁸⁾
وَرَحَاءُ يُؤْذِي الْأَنْامَ غَلَاءُ⁽¹⁴⁹⁾
وَصَفِ عَيْثٍ إِفْلَاحُهُ اسْتِسْقَاءُ⁽¹⁵⁰⁾
بِقُرَاهَا وَأَحْيَيْتُ أَحْيَاءُ⁽¹⁵¹⁾
أَشْرَقَتْ مِنْ بُحُومِهَا الظَّلْمَاءُ⁽¹⁵²⁾
رِ زُبَاهَا الْبَيْضَاءُ وَالْحُمْرَاءُ⁽¹⁵³⁾

(144) شرع في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم فذكر منها شق صدره كما تقدم، كما ذكر انشقاق القمر وانشقاقه جزءاً شق صدره.

(145) ومن معجزاته أنه رمى كفاً من الحصى فأهلك جيشاً وذلك في غزوة بدر، ولا تقس بمجده المعجزة عصا موسى، ولا إلقاءها على السحرة.

(146-147) ومن المعجزات أنه دعا حين عم الأنام الجذب فاستهلَّت الأمطار سبعة أيام.

(148) وصف السحابة بأنها تقصد مواضع الرعي والسقي ومواقع العطاش.

(148-149) ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(150-151) ثم بعد ذلك الغيث النافع أثرى الثرى وبسبب هذا فرحت العيون بسبب عمارة القرى، حتى أصبحت الأرض من النبات والأزهار كالسماء بالنجوم. ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(153) وبسبب كثرة الأزهار والأعشاب أخجلت الدر واليواقيت.

تمني الناظم رؤيته ولقائه صلى الله عليه وآله وسلم

زَالَ عَنِ كُلِّ مَنْ رَأَهُ الشَّقَاءُ ⁽¹⁵⁴⁾	لَيْتَهُ حَصَّ نِي بِرُؤْيَا وَجْهِ
مَا إِذَا أَسْهَمَ الْوُجُوهَ اللَّقَاءُ ⁽¹⁵⁵⁾	مُسْفِرٍ يَلْتَقِي الْكُتَيْبَةَ بَسًا
زَرَّ بِهِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا حِرَاءُ ⁽¹⁵⁶⁾	جُعِلَتْ مَنْجِدًا لَهُ الْأَرْضُ
وَكَمَا أَظْهَرَ الْهَلَالَ الْبِرَاءُ ⁽¹⁵⁷⁾	مُظْهِرٍ شَجَّةَ الْجَبِينِ عَلَى الْبُرِّ
لِجَمَالِ لَهُ الْجَمَالِ وَقَاءُ ⁽¹⁵⁸⁾	سُتِرَ الْحُسْنُ مِنْهُ بِالْحُسْنِ
مَمَامٍ وَالْعُودِ شُقَّ عَنْهُ اللَّحَاءُ ⁽¹⁵⁹⁾	فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجْفٍ
هُ لِسِرِّ فِيهِ حَكَّتَهُ ذُكَاؤُ ⁽¹⁶⁰⁾	كَأَدَّ أَنْ يُعْشِيَ الْعُيُونَ سَنَى مِنْ
هَرٍ فِيهِ آثَارَهَا الْبُأَسَاءُ ⁽¹⁶¹⁾	صَانَهُ الْحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تُظَلَّ
أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الْحِرَاءُ ⁽¹⁶²⁾	وَحَيَّالِ الْوُجُوهِ إِنْ قَابَلْتَهُ
أَذْهَلْتِكَ الْأَنْوَارُ وَالْأَنْوَاءُ ⁽¹⁶³⁾	فَإِذَا شَمِتَ بِشَرِّهِ وَنَدَاهُ

(154) شرع من هذا البيت في تمني لقائه صلى الله عليه وآله وسلم فتمنى أن يخضع برؤية وجهه الكريم الذي يزول على من رآه الشقاء

(155) ذكر بعض صفات الوجه الكريم من أنه مشرق وهو يلتقي الجيش مبتسماً في الوقت الذي تتغير فيه الوجوه بسبب اللقاء.

(156) وجعلت لهذا الوجه الكريم الأرض مسجداً والأمة تبع له واهتر جبل حراء بهذا الجعل، وحراء الجبل الذي كان يتعبد فيه قبل النبوة

(157) وجهه الكريم أظهر شجة جبينه مع برئها فكانت تلك الشجة غاية في الجمال كالهلل أول ليلة.

(158) وسُتِرَ الحسن الأصلي بوجهه الكريم بالحسن العارض وهو الشجة.

(159) ما ظهر من الشجة كالزهر ظهر من الأكماء وهي أعظية النور أو كالعود الذي يتطيب به إذا أنزل عنه قشره.

(160) وكاد جمال وجهه بالشجة يغشى العيون وذلك لسر فيه حكته ذكاء وهي الشمس.

(161) وصان جمال وجهه في حسنه وسكينة أن تظهر فيه آثارها البأساء.

(162) وتجل الوجوه إذا قابله فتلون كما تلون الحرايا.

(163) فإذا شمت أي نظرت طلاقة وجهه وجوده أذهلتك أنوار وجهه وأنواء جوده.

- أَوْ بِتَقْيِيلِ رَاحَةِ كَإِنَّ لَهِ
 تَتَّقِي بِأَسْهَاءِ الْمُلُوكِ وَتَحْطَى
 لَا تَسَلْ سَيْلَ جُودِهَا إِمَّا يَكُ
 دَرَّتِ الشَّاهُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا
 نَبَعَ الْمَاءُ أَثْمَرَ النَّحْلِ فِي عَا
 أَحْيَتِ الْمُرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ
 فَتَعَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفُ جِيَاعٍ
 وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ
 كَانَ يُدْعَى قِنَافًا عُتِقَ لَمَّا
 أَفْلًا تَعْدِرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا
- وَبِاللَّهِ أَخَذَهَا وَالْعَطَاءُ⁽¹⁶⁴⁾
 بِالْغِنَاءِ مِنْ نَوَالِهَا الْفُقَرَاءُ⁽¹⁶⁵⁾
 فَمِيكَ مِنْ وَكْفِ سُحْبِهَا الْأَنْدَاءُ⁽¹⁶⁶⁾
 فَلَهَا نَزْوَةٌ بِهَا وَمَاءُ⁽¹⁶⁷⁾
 بِهَا سَبَّحَتْ بِهَا الْحُصْبَاءُ⁽¹⁶⁸⁾
 أَعْوَزَ الْقَوْمَ فِيهِ زَادٌ وَمَاءُ⁽¹⁶⁹⁾
 وَتَرَوَى بِالصَّاعِ أَلْفُ ظِمَاءُ⁽¹⁷⁰⁾
 دِينَ سَلْمَانَ حِينَ حَانَ الْوَفَاءُ⁽¹⁷¹⁾
 أَيْنَعَتْ مِنْ نُحَيْلِهِ الْأَقْنَاءُ⁽¹⁷²⁾
 أَنْ عَرَّتْهُ مِنْ ذِكْرِهِ الْعُرَوَاءُ⁽¹⁷³⁾

(164) لما أُمِّي تمني رؤية وجهه الكريم وأوصافه تمني تقبيل راحته التي كان الله أخذها وعطاؤها.

(165) وكفه هذه تتقي بأسها الملوك وتحطى أي تفوز بالغي من نوالها الفقراء.

(166) ولا تسأل جود هذه الكف لأنه يكفيك البلبل منها لأن فيها الغنى.

(167) وقد درت هذه الراحة الكريمة الشاة حين حلبها وذلك حين الهجرة.

(168) وظهرت من راحته معجزات منها نبع الماء من بين أصابعه وإثمار النحل في عام واحد وبها سبّحت الحصباء.

(169) وأحييت هذه الكف المرملين وهم الذين لا زاد لهم في وقت الجذب عندما فقد القوم الزاد والماء.

(170) ومن أوصافها أنها غدّت بصاع واحد ألف جائع، كما أروت الألف الظمَاء، أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكتوبة

وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر بيضة من نضار أي الذهب فوفى دينه.

(171) أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكتوبة وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر بيضة من نضار

أي الذهب فوفى دينه.

(172) وكذلك كاتبه سيده على غرس ثلاثمائة نخلة فغرسها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأثمرت من عامها.

(173) والأقناء جمع قنو وهو العذق ألا تعذرون سلمان لما اعترته العرّواء أي الحمى حين ذكر اليهودي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

- وَأَزَالَتْ بِلَمْسِهَا كُلَّ دَاءٍ
 وَأَكْبَرَتْهُ أَطْبَبَةٌ وَإِسَاءٌ⁽¹⁷⁴⁾
- وَعُيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهِيَ رُمْدٌ
 فَأَرَتْهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْقَاءُ⁽¹⁷⁵⁾
- وَأَعَادَتْ عَلَيَّ قَتَادَةَ عَيْنًا
 فَهِيَ حَتَّى مَمَاتِهِ النَّجْلَاءُ⁽¹⁷⁶⁾
- أَوْ بَلِثُمُ الثُّرَابِ مِنْ قَدَمٍ لَأَ
 نَتَّ حَيَاءً مِنْ مَشْيِهَا الصَّفْوَاءُ⁽¹⁷⁷⁾
- مَوْطِي الأَخْمَصِ الَّذِي مِنْهُ لِلْقَلْدِ
 ب إِذَا مَضَجَعِي أَقْضَ وَطَاءُ⁽¹⁷⁸⁾
- حَظِي الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ بِمَمَشَا
 هَا وَوَمَ يَنْسَ حَظَّهُ إِيْلَاءُ⁽¹⁷⁹⁾
- وَرَمَتْ إِذْ رَمَى بِهَا ظُلْمَ اللَّيْلِ
 ل إِلَى اللَّهِ خَوْفُهُ وَالرَّجَاءُ⁽¹⁸⁰⁾
- دَمِيَتْ فِي الوَعَى لِتُكْسِبَ طَيْبًا
 مَا أَرَأَقْتَ مِنَ الدَّمِ الشُّهْدَاءُ⁽¹⁸¹⁾
- فَهِيَ قُطْبُ المِحْرَابِ وَالْحَرْبِ كَمِ
 رَتْ عَلَيَّهَا فِي طَاعَةِ أَرْحَاءُ⁽¹⁸²⁾
- وَأَرَاهُ لَوْ لَمْ يُسْكِنَنَّ بِهَا قَبْ
 لُ حِرَاءً مَا جَتَّ بِهِ الدَّمَاءُ⁽¹⁸³⁾

القرآن

- (174) ومن أوصاف راحته صلى الله عليه وآله وسلم أنها أزالت بلمسها كل داء عجزت عنه الأطباء وأكبرته الإساء أي الأطباء.
- (175) ومن أوصافها أنها برئت بما عيون كانت رمداء فأصبحت ترى أكثر من الزرقاء أي زرقاء اليمامة التي كانت ترى على مسيرة ثلاثة أيام. وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر.
- (176) وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر، أي ليته خصني بلثم التراب المنفصل من قدمه الشريفة التي لانت لها الصفواء أي الحجارة الصلدة حياء من مشيها.
- (177) المعنى أن الناظم لو رقد على تراب مسته فدامه لسرى سرهما إلى قلبه والأخص باطن القدم الذي لا يلتصق بالأرض.
- (178) ومن أوصاف قدمه الشريفة أنه حظي المسجد الحرام بممشى تلك القدم فيه، ولم ينس حظه إيلياء أي بيت المقدس.
- (179) ومنها: أنها ورمت - بكسر الراء - أي تورمت حين قام بما تصجداً في الليل.
- (180) وكذلك دميت قدمه في الوعى لتكسب ما أراق الشهداء من الدم طيباً.
- (181) وهي قطب المحراب والحرب معاً، فهي قطب العبادات والجهاد وكم دارت عليها في طاعة الله أرحاء أي قبائل العرب.
- (182) اعلم أنه لو لم يسكن بها أي بقدمه من قبل غار حراء لاضطراب الجبل.
- (183) عجب من الكفار حين زادوا ضلالاً مع أنهم جاءهم الذي فيه للعقول اهتداء من المعجزات، ومنها القرآن.

عَجَباً لِّلْكَفَّارِ زَادُوا ضَّالًّا	بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُتُولِ اهْتِدَاءٌ ⁽¹⁸⁴⁾
وَالَّذِي يَسْأَلُونَ مِنْهُ كِتَابٌ	مُنزَّلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وَارْتَقَاءٌ ⁽¹⁸⁵⁾
أَوْمْ يَكْفِهِمْ مِنْ مِّنَ اللَّهِ ذِكْرٌ	فِيهِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وَشِفَاءٌ ⁽¹⁸⁶⁾
أَعَجَزَ الْإِنْسَ آيَةٌ مِنْهُ وَاجِبٌ	سَنٌ فَهَلَّا تَأْتِي بِهَا الْبُلْعَاءُ ⁽¹⁸⁷⁾
كُلَّ يَوْمٍ تُهْدِي إِلَى سَامِعِيهِ	مُعْجَزَاتٍ مِنْ لَفْظِهِ الْقُرْءِ ⁽¹⁸⁸⁾
تَتَحَلَّى بِهِ الْمَسَامِيعُ وَالْأَفْ	سَوَاهُ فَهَوَ الْحَلِيُّ وَالْحُلُوءُ ⁽¹⁸⁹⁾
رَقٌّ لَفْظاً وَرَاقٌ مَعْنَى فَجَاءَتْ	فِي خِلَافِهَا وَحَلِيهَا الْخُنْسَاءُ ⁽¹⁹⁰⁾
وَأَرْتَنَّا فِيهِ غَوَامِضَ فَضْلِ	رِقَّةٍ مِنْ زُلْهَا وَصَفَاءُ ⁽¹⁹¹⁾
إِمَّا بُجِّتَ لِي الْوُجُوهُ إِذَا مَا	جُلِيَتْ عَنْ مِرْآةِهَا الْأَصْدَاءُ ⁽¹⁹²⁾
سُورٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ سُوراً مِ	نَا وَمِثْلُ النَّظَائِرِ النَّظَرَاءُ ⁽¹⁹³⁾
وَالْأَقَاوِيلُ عَنْدَهُمْ كَالْتِمَائِيهِ	لِ فَالْأَيُّومِ نَكَّ الْحُطَبَاءُ ⁽¹⁹⁴⁾

(184) سألوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بكتاب تعنتاً وعتاداً فأتاهم به وحياً من الله جل وعلا.

(185) يتعنتون ولم يكفهم القرآن المعجز الذي فيه للناس رحمة وشفاء.

(186) شرع يذكر صفات القرآن الذي أعجزت آية منه الإنس والجن فهلاً يأتي بآية البلغاء.

(187) ولاشمال القرآن على مالا يحصى من العلوم والمعانيات وغير ذلك كان في كل وقت تُهدي القراء إلى السامعين معجزات من لفظه

(188) تتحلى بسماعه المسامع والأفواه فهو للمسامع حلي وللأفواه حلواء.

(189) قد حسن لفظه وتصفى من شوائب النقص فحري بأن يشبه بالمرأة الحالية، ولكن القرآن أبلغ من ذلك.

(190) وأوضحت آيات القرآن الرقية الحلوة الصافية غوامض وخفايا من العلوم والمعارف المستنبطة منه.

(191) وآيات القرآن لا تظهر إلا للقول السليمة لأنه لا يُجتلى الوجه وتظهر إلا في المرآة الصافية.

(192) ثمائل سور القرآن الفضلاء منا.

(193) ما تقوله الكفار في القرآن هو من الأباطيل المزخرفة كزخرفتهم للتمائيل.

(194) كم أوضحت آيات القرآن من علوم لا غاية تنتمي إليها قال تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء".

كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عُلُومٍ
فَهِيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الرُّزُّ
فَأَطَالُوا فِيهِ التَّتَرُّدُ وَالرَّيْبُ
وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً
وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عَلَمٍ
عَنْ حُرُوفِ أَبَانَ عَنْهَا الْهَجَاءُ⁽¹⁹⁵⁾
رَاعٍ مِنْهُ سَنَابِلٌ وَزَكَاةُ⁽¹⁹⁶⁾
بِ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا افْتِرَاءُ⁽¹⁹⁷⁾
فَالْتِمَاسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ⁽¹⁹⁸⁾
فَمَاذَا تَقُولُهُ النَّصَحَاءُ⁽¹⁹⁹⁾

ما آل إليه أمر أهل الكتابين

قَوْمَ عِيسَى عَامَلْتُمْ قَوْمَ مُوسَى
صَادَقُوا كُتُبَكُمْ وَكَذَّبْتُمْ كُتُبَنَا
لَوْ جَحَدْنَا جُحُودَكُمْ لَأَسْتَوِينَا
مَالِكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أَنْسَاءُ
يَحْسُدُ الْأَوَّلُ الْأَخِيرَ وَمَا زَا
بِالَّذِي عَامَلْتَكُمْ الْخَفَاءُ⁽²⁰⁰⁾
بَهُمْ إِنَّ ذَا لِيَبْسُ الْبِوَاءُ⁽²⁰¹⁾
أَوْ لِلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتِوَاءُ⁽²⁰²⁾
لَيْسَ يُرْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ⁽²⁰³⁾
لَ كَذَا الْمُحَدَّثُونَ وَالْقَدَمَاءُ⁽²⁰⁴⁾

(195) إن حروف القرآن ما يستخرج منها غزير كالحب المبذور.

(196) والكفار رغم صفات القرآن الباهرة استمروا على الإعراض والإنكار فقالوا: سحرٌ وافتراء في كتاب الله.

(197) وإذا البيّنات والحجج الواضحة لم تقدمهم شيئاً فطلب الهدى من البيّنات عناء.

(198) وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء من الأنبياء والمبلغين.

(199) شرع في الكلام على ما آل إليه أمر أهل الكتابين لما جاءهم الإسلام فقال: يا قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتمكم

الخنفاء به وهو تصديقكم بالتوراة، كما أن أهل الإسلام صدقوا كتابكم وهو الإنجيل.

(200) صدق قوم عيسى بالتوراة وكذب اليهود بالإنجيل فبست المكافأة.

(201) لو جحد المسلمون كتابكم أيها اليهود كما أنكرتم كتابنا والإنجيل لاستوينا، ثم بين أنه لا يكون ذلك ولا يتصور لأننا لا نجحد

الحق

(202) ما لكم يا أهل الكتاب أناساً لا يصدر منكم مراعاة للدين الحق.

(203) ومن عدم رعايتكم للحق أن الأول يحسد الأخير.

(204) قد علمتم يا أهل الكتاب بظلم قبايل وهو أول أولاد آدم عليه السلام هايبل وهو ثاني أولاد آدم حسداً له.

- قَدْ عَلِمْتُمْ بِظُلْمِ قَائِلِ هَابِيحٍ
وَسَمِعْتُمْ بِكَيْدِ أُنْبَاءٍ يَعْتَمُونَ
حِينَ أَلْفَوْهُ فِي غِيَابَةِ جُحِيٍّ
فَتَأَسَّسُوا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظَلَمْتُمْ
أَتْرَاكُمْ وَقَفَيْتُمْ حِينَ خَانُوا
بَلْ تَمَادَتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَا
بَيْنْتَهُ نَوْرَاتُهُمْ وَالْأَنَاجِيحُ
إِنْ تَقُولُوا مَا بَيَّنَّتْهُ فَمَا زَا
أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيَّنَّتْهُ فَمَا لِيْل
عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظَلَمَاءُ
أَوْ نُورَ الْإِلَهِ تُظْفِئُهُ الْأَفْ
- لَ وَمَظْلُومٌ الْإِخْوَةَ الْأَتْقِيَاءُ⁽²⁰⁵⁾
بَ أَخَاهُمْ وَكُلُّهُمْ صُلْحَاءُ⁽²⁰⁶⁾
وَرَمَوْهُ بِالْإِفْكِ وَهُوَ بَرَاءُ⁽²⁰⁷⁾
فَالْتَأَسَّيَ لِلنَّفْسِ فِيهِ عَزَاءُ⁽²⁰⁸⁾
أَمْ تُرَاكُمُ أَحْسَنْتُمْ إِذْ أَسَاءُوا⁽²⁰⁹⁾
ءَ تَقَفَّيْتُمْ آثَارَهَا الْأُنْبَاءُ⁽²¹⁰⁾
لَ وَهُمْ فِي جُحُودِهِ شُرَكَاءُ⁽²¹¹⁾
لَتَ بِهَا عَنَ عُيُوبِهِمْ عَشَوَاءُ⁽²¹²⁾
لَاذُنِ عَمَّا تَقُولُهُ صَمَاءُ⁽²¹³⁾
كَتَمْتَهُ الشَّهَادَةَ الشُّهَادَةَ⁽²¹⁴⁾
وَأُوهُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ⁽²¹⁵⁾

(205) ومخاطب أهل الكتابين بأنهم هل سمعوا بكيد أبناء يعقوب لأخيه يوسف حين ألقوه في غيابة الحب ورموه بالسرقة وهو أحومهم الصغير.

(207) وإذا علمتم ما وقع لمن قبلكم فتعزوا بمن مضى قبلكم.

(208) ثم قال أتظنكم أهل الكتاب أيها المسلمون أنكم وفيتم بما عاهدتم الله عليه فأظهرتم الحق حين كنتموه؟، وأتظنكم أحسنتم إذ أسأوا؟ بل لا يرون شيئا من ذلك واستمروا على التجاهل، وتبع الأبناء آثار الآباء الباطلة.

(210) بينت التوراة والأنجيل الحق ومن جملته إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد اشترك اليهود والنصارى في جحود الحق القابت في كتبهم.

(211) إن يقل أهل الكتاب من اليهود والنصارى إن كتبهم لم تبين الحق فلم تزل العماية على عيونهم بل هي باقية.

(212) وإن يقولوا قد بينته كتبهم فأى شيء جعل آذانهم صماء.

(213) عرفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قرارة نفوسهم ولكنهم في الظاهر منكرون وإنما دعاهم إلى ذلك الظلم والحسد والعناد.

(214) ثم قال لا يمكن أن تظفي الأفواه نور الله وهو النبوة.

(215) وضح لهم بعد ذلك أن الحق يعلو فيها أن سلف هؤلاء المنكرين قد أهلكتهم الحرب كما وقع لبني النضير من الجلاء وقتل بني

- أَوْ لَا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ
بِرَحَاهَا عَنْ أَمْرِهِ الْهَيْجَاءُ⁽²¹⁶⁾
- وَكَسَاهُمْ تَوْبُ الصَّعَارِ وَقَدْ طَلَّ
ثَ دِمَاءٍ مِنْهُمْ وَصِيْنَتْ دِمَاءُ⁽²¹⁷⁾
- كَيْفَ يَهْدِي إِلَهُ مِنْهُمْ قُلُوبًا
حَشَوْهَا مِنْ حَبِيْبِهِ الْبُعْضَاءُ⁽²¹⁸⁾
- خَبَرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِيْنَ مِنْ أَيِّ
مَّا أَتَى بِالْعَقِيْدَتَيْنِ كِتَابٌ
وَالدَّعَاوِي مَّا لَمْ تُقِيْمُوا عَلَيْهَا
لَيْتَ شِعْرِي ذَكَرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَا
كَيْفَ وَحَدَّثْتُمْ الْإِهَاءَ نَفَى التَّو
أَلِلَهُ مُرَكَّبٌ مَّا سَمِعْنَا
أَلِكُلِّ مِنْهُمْ نَصِيْبٌ مِنَ الْمُلْ

قريظة، فإن استمر أهل الكتابين على إنكار الحق نالهم ما نال سلفهم.

- (216) اشتد الإسلام على اليهود لِمَا اتصفوا به من المكر فطلت دماء بني قريظة، وصيبت دماء بني النضير بإجلائهم.
- (217) كيف يهدي الإله قلوباً لأهل الكتابين حشوها شدة البغض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- (218) أعلمونا أهل الكتابين التوراة والإنجيل من أين أتى التثليث - الله وعيسى ومريم- وهو عقيدة النصارى، والبداء وهو ظهور المصلحة لله تعالى بعد خفائها وهو عقيدة اليهود.
- (219) بعد أن استفهم استفهاماً إنكارياً بين أن العقيدتين التثليث والبداء لم يأت بهما كتاب منزل، واعتقاد ما لا نص فيه باطل.
- (220) وما تدعونه يا معشر اليهود والنصارى ما لم تقيموا عليه أدلة قطعية فهو ادعاء باطل وأصحابه أذعياء.
- (221) بيّن تناقض النصارى في ادعائهم التثليث والتوحيد فحينئذ يكون التثليث الذي تدعونه زيادة على الواحد، وادعائكم التوحيد نقصاً، وأثبت لهم التناقض لأنهم يثبتون التوحيد تارة والتثليث أخرى.
- (222) تعجب في هذا البيت من النصارى كيف يقولون بالتوحيد مع أن نسبة الأبوة والبنوة تنفيه.
- (223) استفهم استفهاماً إنكارياً قائلاً: أيمكن أن يكون إله له أجزاء؟ وذلك مما يحيله العقل.
- (224) إنما أحال العقل أن يكون الإله ذا أجزاء لأنه يلزم أن يكون لكل أحد من الآلة نصيب من الملك مع أن ذلك لم يقع فلا تعدد.
- (225) وإن قيل أن الآلة خلطوا أنصباهم من الملك، قبل ذلك فهو دليل العجز والإله لا يكون عاجزاً، ثم أنه متى وجدت الشركة وحد التنازع وهو مؤد إلى خراب العالم وهذا أخذ من قوله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء: 22) أي لو كان آلهة في

أَتَرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارٍ	خَاطُوهَا وَمَا بَعَى الْخُلَطَاءِ ⁽²²⁶⁾
أَهْوِ الرَّكِبُ الْحِمَارَ فَيَا عَجْزاً	زِرَّ إِلَهٍ يَمَسُّهُ الْإِعْيَاءُ ⁽²²⁷⁾
أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحِمَارِ لَقَدْ جَدَّ	لِلْحِمَارِ يَجْمَعُهُمْ مَشَاءُ ⁽²²⁸⁾
أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ الْإِلَهُ فَمَا نَسَبَ	بَهُ عَيْسَى إِلَيْهِ وَالْإِتْمَاءُ ⁽²²⁹⁾
أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلِمَ خُصِّصَ	ثَلَاثُ بَوْصَفِهِ وَتُنَاءُ ⁽²³⁰⁾
أَمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ مَا شَارَكَتُهُ	فِي مَعَانِي الْبُنُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ ⁽²³¹⁾
فَتَلَّتْهُ إِلَيْهِ هُوْدٌ فِيمَا زَعَمْتُمْ	وَلَا مَوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ ⁽²³²⁾
إِنَّ قَوْلًا أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّـ	هِ تَعَالَى ذِكْرًا لَقَوْلٍ هُرَاءُ ⁽²³³⁾

السموات والأرض غير الله لفسدتها لكنهما لم تفسدا فحينئذ انتفى تعدد الآلهة وثبت التوحيد.

(226-228) أبطل التعدد في هذه الآيات بأسلوب لطيف تحكمي حيث إن المسيح عليه السلام كان يركب الحمار فاستفهم عن الإله الذي يركب الحمار أهو عيسى فإذا كان هو فهو عاجز، والعجز ليس من صفة الإله، ثم تحكم على أصحاب عقيدة التثليث فاستفهم عن راكبي الحمار أهم الآلهة الثلاثة فما أجل وأعظم هذا الحمار الذي يحمل الآلهة الثلاثة. وذكر في البيت (228) أن أصحاب عقيدة التثليث إذا قالوا أن الإله غير الثلاثة الركبين على الحمار أحيوا فما نسبة عيسى إلى الإله.

(229-232) ناقش في هذه الآيات الأربعة عقيدة التثليث عند النصارى مبطلاً لها بدليلين: الأول: إن أرادوا بالثلاثة الصفات الإلهية أبطل هذا الاحتمال بأن الصفات أكثر من ذلك فلم هذه الثلاث دون غيرها؟ لأنه تحكم، الاحتمال الثاني: إن قالوا إن عيسى ابن الله وهو نبي كسائر الأنبياء فلماذا كان عليكم أن تصفوا كل الأنبياء بالبئنة لله - تعالى عن ذلك-. ثم أبطل ألوهية المسيح بأن النصارى يدعون أن اليهود قتلوه والحال أنه يحيي الموتى فهلا أحيا نفسه وهذا على حسب زعمهم من عقيدة الصلب وإلا في الحقيقة أن الله رفعه إليه حياً وختاماً بما اتضح يكون قولهم بالتثليث قولاً هراءً أي قولاً فاحشاً.

(233-243) انتقل في هذه الآيات إلى الرد على اليهود في قولهم يلزم على نسخ ملة بملة البداء وهو (ظهور مصلحة بعد خفاء) مبنياً أن كلاً من مقالة النصارى ومقالة اليهود لزمته مقالة شعناء، فاليهود الزاعمون أن النسخ يوجب البداء يرد ما أفاده العقل الرجيح وهو أن الأسباب الداعية للنسخ ترجع إلى مصالح العباد، كالتطبيب يأمر بدواء في يوم، وبآخر في يوم آخر، هذه تقدمة نضيفها لما رد به البوصيري تبين حكمة النسخ، ثم شرع البوصيري في الرد عليهم بإلزامهم أنهم إذا أنكروا النسخ يلزم على إنكارهم عجز الواحد القهار، ثم أزم المنكرين للنسخ بأنهم لو كانوا عقلاء لحكموا بجواز النسخ مثل حكمهم بتجوز النسخ إذ لا فرق بينهما، ثم وضع هذا الرد بأن النسخ رفع تعلق حكم بحكم آخر والنسخ تبديل صورة مخلوقة بصورة أخرى وإنما التبديل في النسخ في الحكم، وفي النسخ في الخلق، ثم انتقل في الرد عليهم إلى أن النسخ هو انتهاء لحكم وهو المنسوخ وابتداء لآخر وهو الناسخ، وبالغ في هذا فأمر بسؤال اليهود عن المنسخ أهو نسخ لآيات الله أم

مِثْلَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَكُلُّ
 إِذْ هُمْ اسْتَفْتَرُوا الْبَدَاءَ وَكَمْ سَا
 وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَم
 جَوَّزُوا النَّسَخَ مِثْلَ مَا جَوَّزُوا
 هُوَ إِلَّا أَنْ يُرْفَعَ الْحُكْمُ بِالْحُ
 وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ انْتِهَاءً
 فَسَلُّوهُمْ أَكَانَ فِي مَسْخِهِمْ نَسْ
 وَبَدَاءً فِي قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللَّ
 أَمْ مَحَا اللَّهُ آيَةَ اللَّيْلِ ذُكْرًا
 أَمْ بَدَأَ لِلَّهِ فِي ذَبْحِ إِسْحَا
 أَوْ مَا حَرَّمَ الْإِلَهَ نِكَاحَ الْأَخْ

لَزِمَتْهُ مَقَالَةٌ شَنْعَاءُ⁽²³⁴⁾
 قَ وَبِالْأَلِ إِلَيْهِمْ اسْتِيفْرَاءُ⁽²³⁵⁾
 هَارَ فِي الْخُلُقِ فَاعِلًا مَا يَشَاءُ⁽²³⁶⁾
 حَ عَلَيَّهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ⁽²³⁷⁾
 كُمْ وَخَلَقَ فِيهِ وَأَمْرٌ سَوَاءُ⁽²³⁸⁾
 وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ انْتِهَاءً⁽²³⁹⁾
 حَ لآيَاتِ اللَّهِ أَمْ إِنْشَاءُ⁽²⁴⁰⁾
 هُ عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَاءُ⁽²⁴¹⁾
 بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجَدَ الْإِمْسَاءُ⁽²⁴²⁾
 قَ وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ مَضَاءُ⁽²⁴³⁾
 تَ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهُوَ الزَّيْنَاءُ⁽²⁴⁴⁾

إنشاء، فإن اعترفوا بأنه نسخ فقد ثبتت الحجة عليهم، وإن قالوا أنه إنشاء فذلك مكابرة. ثم أمر بسؤال اليهود مبالغة في الرد عليهم عن قولهم (ندم الله على خلق آدم) أهو عن قصد منهم أو خطأ. فإن كان عن قصد فقوله هذا البداء الذي من أجله أنكروا النسخ للملة اليهودية، وإن قالوا إن قولهم هذا هو خطأ منهم اعترفوا بالغبوة وأمر بسؤالهم عن أمر ثالث وهو نحو آية الليل بالنهار أهو سهو عن قصد أم عن سهو، في كلتا الحالتين إلزام لهم بالقول بالنسخ، كما أمر بسؤال رابع ملزم لهم بالقول بالنسخ وهو أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق ثم لما أضحجه نسخ حكم الذبح بتركه وفداه بذبح عظيم وإنما اقتصر الناظم على أن الذبيح هو إسحاق لأنه في مقام الرد على اليهود، وهذا هو معتقدهم، ومذهب أهل السنة أن الذبيح هو إسماعيل، ثم أمر بسؤال اليهود عن أمر خامس ملزم لهم بالإقرار بالنسخ هو أن نكاح الأخت كان حلالاً في زمن آدم ثم نسخ الله حكمه بالتحريم.

(244-257) لا سبيل إلى التكذيب بأن اليهود زانغون عن الحق وهم معشر لؤماء كما أنهم من زيعهم جحدوا نبوة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأقروا من آمن بالباطل على باطلهم حين سألتهم قريش المشركون أنحن خير ديناً من محمد؟ قالوا: نعم. ومن زيعهم وسفههم قتلهم الأنبياء كزكرياء ويحيى واتخاذهم العجل لهأ، وقد صاغه لهم السامري من حلي القبط المستعارة. ومن خبثهم أنهم أحرزهم ما

اتصاف اليهود بأوصاف ذميمة وما نالهم من جراء خداعهم

- لَا تُكَذِّبُ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا
عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ⁽²⁴⁵⁾
- جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا
قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَخَّذُوا الْعِجَا
وَسَفِيهَهُ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْ
مُلَأَتْ بِالْحَيْثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالٍ سَبَتٍ بِخَيْرٍ
هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْ
عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ⁽²⁴⁶⁾
- قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَخَّذُوا الْعِجَا
وَسَفِيهَهُ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْ
مُلَأَتْ بِالْحَيْثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالٍ سَبَتٍ بِخَيْرٍ
هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْ
- لَا تُكَذِّبُ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا
عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ⁽²⁴⁷⁾
- جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا
قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَخَّذُوا الْعِجَا
وَسَفِيهَهُ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْ
مُلَأَتْ بِالْحَيْثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالٍ سَبَتٍ بِخَيْرٍ
هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْ
- لَا تُكَذِّبُ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا
عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ⁽²⁴⁸⁾
- جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا
قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَخَّذُوا الْعِجَا
وَسَفِيهَهُ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْ
مُلَأَتْ بِالْحَيْثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالٍ سَبَتٍ بِخَيْرٍ
هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْ
- لَا تُكَذِّبُ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا
عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ⁽²⁴⁹⁾
- جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا
قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَخَّذُوا الْعِجَا
وَسَفِيهَهُ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْ
مُلَأَتْ بِالْحَيْثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالٍ سَبَتٍ بِخَيْرٍ
هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْ
- لَا تُكَذِّبُ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا
عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ⁽²⁵⁰⁾
- جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا
قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَخَّذُوا الْعِجَا
وَسَفِيهَهُ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْ
مُلَأَتْ بِالْحَيْثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالٍ سَبَتٍ بِخَيْرٍ
هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْ
- لَا تُكَذِّبُ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا
عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ⁽²⁵¹⁾
- جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا
قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَخَّذُوا الْعِجَا
وَسَفِيهَهُ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْ
مُلَأَتْ بِالْحَيْثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالٍ سَبَتٍ بِخَيْرٍ
هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْ

منحهم الله من المن، وهو نوع من الحلواء كان ينزل عليهم، والسلوى: وهو الطير السمائي كان من أشهى الطيور لحماً، وسألوا القوم وهو الثوم والثناء وهو الخيار. ومن مخازيهم أن الحرام وأكل السحت والربا ملئت به بطونهم، ولو أراد الله بهم خيراً لجعل السبت الذي هو معنى القطع محله الأربعاء الذي خلق النور فيه، ومع ذلك أن يوم السبت يوم مبارك لأن الله ابتداءً فيه خلق هذا العالم. وذكر أن اليهود اعتدوا بالتصرف فيه بالبيع ونحوه فمسخ الكثير منهم قردة وحنازير. وبسبب ظلم اليهود بأخذ الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل، وكفرهم فأنتهم طيبات من الرزق حرّمها الله عليهم، وفي ترك الطيبات هلاك لهم، ثم ذكر ما نالهم من أجل الخداعهم وخداعهم، وخلص ما ذكره أن المنافقين من الأوس والخزرج خدعوا اليهود فكانوا يدسون إليهم المكر والخديعة فتعنت أحبارهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرد شبه هؤلاء الأحبار القرآن الكريم وترتب على ذلك إجلال بني النضير من الحجاز إلى الشام وهو ما عبر عنه الناظم بقوله: أسلموهم لأول الحشر...، والحشر الثاني في عهد عمر رضي الله عنه من خيبر وأشار إلى تحالف اليهود مع الأحزاب وهم طوائف العرب المتجمعة من أهل مكة ومن معهم الذين تجمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقصدوا المدينة فكانت غزوة الأحزاب، وحين اشتداد البأس نقض بنو قريظة عهدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما رجع المتحزبون من الكفار ورفّع الحصار عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة وحاصروهم إلى أن نزلوا على حكم سيدنا سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتقسّم أموالهم وتسي ذراريهم.

- فَبِظُلْمٍ مِنْهُمْ وَكُفْرٍ عَدَّتْهُمْ
خُدِعُوا بِالْمَنَافِقِينَ وَهَلْ يُنْتِ
وَاطْمَأَنُّوا بِقَوْلِ الْأَحْزَابِ إِخْوَا
حَالَفُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَمَآ أَدَّ
أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ لَا مِي
سَكَنَ الرُّعْبُ وَالْحَرْابُ قُلُوبًا
وَيَيُّومِ الْأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْ
- طَيِّبَاتٍ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلَاءٌ⁽²⁵²⁾
فَقِي إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ⁽²⁵³⁾
نِهِمْ إِنَّنَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ⁽²⁵⁴⁾
رِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْخُلَفَاءُ⁽²⁵⁵⁾
عَادُهُمْ صَادِقٌ وَلَا الْإِيْلَاءُ⁽²⁵⁶⁾
وَيُيُوتَا مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلَاءُ⁽²⁵⁷⁾
صَارَ فِيهِ وَضَلَّتِ الْآرَاءُ⁽²⁵⁸⁾

مجازة المؤذنين بالهلاك

- وَتَعَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ حُدُودًا
وَنَهَتْهُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ
وَتَعَاظُوا فِي أَحْمَدٍ مُنْكَرَ الْقَوْمِ
كُلُّ رِجْسٍ يَزِيدُهُ الْخُلُقُ السُّو
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوْمِ
- كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعُدُوءُ⁽²⁵⁹⁾
فَأَيُّدِ الْأَمَّارِ وَالنَّهَّاءِ⁽²⁶⁰⁾
لِ وَنُطِقِ الْأَرَادِلِ الْعَوْرَاءِ⁽²⁶¹⁾
ءِ سِفَاهًا وَالْمِلَّةُ الْعُوجَاءِ⁽²⁶²⁾
م وَمَا سَاقَ لِلْبَيْزِيِّ الْبِدَاءُ⁽²⁶³⁾

(258) تعدى الكفار الحدود من اليهود وغيرهم بإذيتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فحوزوا بالهلاك وبعدهم عن النجاة.

(259) أي نهي أولئك المعتدين أقوام منهم ليكفروهم عن الإذابة فلم ينتهوا فهلك المار بالإذابة والنهائ عن إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(260) وتناول الكفار القول المنكر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: ساحر، وكاهن، ومجنون، ونطق الأراذل أي الأختساء الأسافل الفحش.

(261) أفاد أن كل قدرة يزيد بها الخلق السوء سفاهة، وكذلك الملة العوجاء التي هم عليها تزيدهم أيضاً سفاهة، فتضاعفت سفاهتهم.

(262-263) أمر العقلاء بأن ينظروا ما هي عاقبة الإذابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث انقلب السب سبباً بإبدال الباء ميماً فأهلكهم السب كما يهلك السم.

وَجَدَ السَّبَّ فِيهِ سَمًّا وَمَمَّ يَدٌ
 كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ
 رِ إِذِ الْمَيْمِ فِي مَوَاضِعَ بَاءٍ⁽²⁶⁴⁾
 فَهَوَ فِي سُوءِ فِعْلِهِ الزَّيَاءُ⁽²⁶⁵⁾
 فِ إِيَّهَا وَمَالَهُ إِنْكَاءُ⁽²⁶⁶⁾

عاقبة قومه المناوين له

صَرَعتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيِي
 فَأَتَتْهُمْ حَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَحِي
 مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمْ وَالِدَّهَاءُ⁽²⁶⁷⁾
 تَالٌ وَلِلْحَيْلِ فِي الْوَعَى خِيَلَاءُ⁽²⁶⁸⁾
 فَصَدَّتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَقَوَانِي
 وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَفْعَاءُ
 طُنَّ أَنَّ الْعُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ⁽²⁶⁹⁾
 عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كُدَاءُ⁽²⁷⁰⁾
 مُلَّ مِنْهَا الْإِكْفَاءُ وَالْإِقْوَاءُ⁽²⁷¹⁾
 وَذَهَتْ أَوْجُهًا بِهَا وَبِيوتًا⁽²⁷²⁾

(264- 265) وتسبب الإيذاء أن البيدِّي تسببت له بذاء فمه في قتل نفسه بيديه فهو شبيه بالملكة الزباء التي أدركها عمرو فمصّت خاتماً فيه السم فقتلت نفسها بيدها وأتى بتشبيهه آخر لعاقبة البيدِّي اللسان فشيبهه بالنحل التي لسعها يجلب لها فتحها أي موتها والحال أن لسعها ليست له نكاية.

(266) صرع قومه الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مكروهم ولم يُجِدْهم مكروهم ولا دهاءهم الخبيث.

(267) فبسبب مكروهم أتهمهم من قبله صلى الله عليه وآله وسلم حيل يتخبَّئُ بما شجعان المسلمين فعاد مكروهم وبالاً عليهم.

(268) المعنى قوي طعن القنا - وهي الرماح- في أبدانهم تكراراً وإعادةً.

(269) أثارَت حيل المسلمين التي قصدت مكة نفعاً أي غباراً حتى أظلم الجؤ وهذا إشارة إلى غزوة فتح مكة ووقعت في رمضان سنة 8

(270) أشار في هذا البيت إلى دخول جيش الفتح مكة حيث كان من جهتين الأولى جهة الحجون - وهو الجبل المطل على مقبرة مكة

وهي المعلاة- ومنها دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المهاجرون والأنصار، والجهة الثانية من كُدا - بضم الكاف- من أسفل

مكة، حيث أمر خالد بن الوليد أن يدخل من هناك، ومعنى أحجمت الحجون: أن أهلها كفوا عن القتال، وأما كُداً فإن أهلها قاتلوا قليلاً

وإلى ذلك أشار قوله: "وأكدى: عند إعطائه القليل كداء" ومعنى: أكدى: قطع.

(271) أي أصابت حيل الفتح أوجهاً من الناس قاتلت، وبيوتاً قُت أهلها منها.

(272- 274) لما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة دعتة قريش وهو احلم البرية وجواب الحليم الإغضاء وهو الإعراض عن

العقوبة، وناشدهم بالقرى أي أن يصل القرابة التي بينه وبينهم وهي من قريش وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وآله

عفوه وجمال أفعاله

فَدَعَوْا أَحْلَمَ الرِّيَّةِ وَالْعَفْوَ	وُجُوبِ الْحَلِيمِ وَالْإِعْصَاءِ ⁽²⁷³⁾
نَاشَدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْشٍ	فَقَطَعَتْهَا السِّبْرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ ⁽²⁷⁴⁾
فَعَفَا عَفْوَ قَادِرٍ لَمْ يَنْعَصْ	عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ ⁽²⁷⁵⁾
وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلِ	سِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالْإِقْصَاءُ ⁽²⁷⁶⁾
وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ	مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامُ وَالْإِطْرَاءُ ⁽²⁷⁷⁾
وَلَوْ أَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْسِ	سِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ ⁽²⁷⁸⁾
قَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى	اللَّهُ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ ⁽²⁷⁹⁾
فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْ	ضَحُ الْإِيمَاءِ حَاوَاهُ الْإِنَاءُ ⁽²⁸⁰⁾

وسلم، وتلك القرابة التي قطعها الترات - أي عدم إدراك التأت - والشحناء: أي التباغض والتحاسد، وبسبب تلك المناشدة والسؤال بالقرابة عفا عنهم عفو قادر، ولم يَكْدِرْ عفوه ما مضى منهم من مبالغة في الإيذاء.

(275-276) أفاد أنه إذا كان القطع والوصل لله أن يتساوى عنده تقريب الأقارب والأبعاد وإقصاء الأقارب والأبعاد ويتساوى عنده اللوم والمدح.

(278-281) أبانت جملة هذه الأبيات ما اتصف به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن أفعاله ليست معللة بمحوى النفس وإنما هي كلها لله تعالى ولذلك لما ناشدته قريش القرى عفا عنها، ولو كانت أفعاله لهوى النفس لانتقم منهم أشد انتقام ولقطعهم وحفاهم ولهذا كانت أفعاله كلها جميلة ولسمو نفسه الكريمة لا يصدر عنه إلا ما يرضى كما أن الإناء الملىء طيباً لا يفضح أي لا يرشح إلا بما هو طيب، ولجمال أفعاله كانت إذا سمع بها السامعون طربوا لها فضلاً عن الذين نالهم ثم أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه أمياً - والأمي نسبة إلى الأم وهو من لا يكتب ولا يقرأ - أتى بما أعجز البشر كلهم وملك عليهم عقوبهم، فهو اعرف العارفين وأحكم الحكماء النابغين، ولذلك أخذ عنه ما جاء به الرواة والحكماء.

أَطْرَبَ السَّامِعِينَ ذِكْرُ غَلَاءِ
يَا لِرَاحِ مَا لَتْ بِهِ التُّدْمَاءُ⁽²⁸¹⁾

التَّيِّبِيُّ الْأَيْمِيُّ أَعْلَمُ مِنْ أَسَدٍ
نَدَّ عَنْهُ الرُّوَاهُ وَالْحَكَمَاءُ⁽²⁸²⁾

(282-296) أفاد في الأبيات الرحلة إلى مكة فأفاد أولاً المنازل التي يمر بها الركب من مصر إلى مكة. وأفاد في البيت الأول أن الوجناء وهي الناقة القوية وعدته زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التي تمت فيها الزيارة ووفت بوعدها، ثم استفهم قائلاً: أيليق بي ترك الزيارة؟ فلا انضم إلى الناقة بركوبها لتطوى الفلوات بينه وبين المثوى الكريم - أي قبره صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الطي بالوف البطحاء- أي بمهذه الناقة التي ألفت بطحاء مكة، ولإيلاف هذه الناقة مكة صارت يزعمها النيل، والحال أنها قد شفت جوفها الإطماء وهو العطش، وهي من حبها لمكة أنكرت مصر ونفرت مما يلوح لعينها من بناء أو فضاء، ثم شرع في ذكر المنازل مستهلاً بأن البركة أفضت مضاجعها وهذا ما اختاره الشيخ الإمام النبهاني أي حشنت مضاجعها والذي عليه كل الشراح: فأفضت بركتها أي سالت (1) والبركة أول محل يلي طريق الحجاز تجتمع فيه الحجاج للتأهب للسفر.

(2) والبويب - بالتصغير - موضع بعد البركة.

(3) الخضراء: قرية بالمخيل المسمى بعجروود وبجانب القرية بركة ماء تملأ من بئر.

(4) القباب التي تلي المنازل السابقة أي وادي القباب.

(5) بئر النخل موضع فيه بركة ماء تملأ من بئر وماؤها أحسن من الذي قبلها، ولهذا قال: "والركب قائلون رواء" وقائلون: أي مستريحون وقت القيلولة.

(6) ومن المنازل: أيلة أي عقبة أيلة وهي عقبة صعبة المبوط والصعود وبندرها حصن حصين في قرية على شاطئ البحر، وقد ذكر المسورون: أن القرية التي كانت حاضرة البحر هي: أيلة.

(7) جِئَلٌ: بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة تسميه العامة: دَوَّارِ جِئَلٍ.

(8) قُرٌّ: بضم القاف والراء المشددة - قال ابن حجر الهيثمي شارح الحمزية: ليس هذا الاسم مشهوراً عند الناس اليوم، وابن حجر من رجال القرن العاشر توفي سنة (974هـ) وأراد البوصيري بقوله: "حلفها" أي الناقة.

(9) المغارة الفيحاء، أي الواسعة كأنه أراد بما المخيل المعروف الآن أي في زمن الشيخ سليمان الجمل شارح الحمزية (1204هـ) بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبي عليه الصلاة والسلام.

(10) عيون الأقباب: سمي هذا المنزل بذلك لكثرة ما فيه من القصب.

(11) التَّبَكُّ: بفتح النون وسكون الموحدة، وهذا المنزل قال ابن حجر الهيثمي ليس بمشهور، وقال سليمان الجمل: ولعله أراد به المكان المسمى بنبط.

(12) الكنفافة: وصفها الناظم بالعوجاء أي أنها منحرفة عن جادة الطريق وقال الجمل: تعرف في عصره بسلمى وكنفافة.

(13) الحوراء: حفائر على ساحل البحر، ونسب الناظم إلى الحوراء محادثة الناقة، وكذلك ينبوع الآتي ونسب لهما الرقة أي الاشتياق.

(14) ينبوع: قال الجمل: هو الآن - أي في عصره - يعرف بينع كينصر. وينبع هو أول بلاد الحجاز في الذهاب وأخرها في الإياب.

(15) الدهنون: هو الآن محل واحد يسمى بالدهناء، وهي موضع أمام ينبع.

(16) بدر: وقال الناظم: (لاح بالدهنوين بدر لها) أي ظهر فيها بدر، وهي قرية عامرة كبيرة، ومحل الواقعة المشهورة بهذا المكان التي أعز

وَعَدْتَنِي اَزْدِيَارُهُ الْعَامَ وَجَنَّا
 ءُ وَمَنْتَ بَوْعَادِهَا الْوَجْنَاءُ⁽²⁸³⁾
 أَفْلا أَنْطَوِي لَهَا فِي اقْتِضَائِ
 هِ لِتَطْوَى مَا بَيْنَنَا الْأَفْلاءُ⁽²⁸⁴⁾
 بِأَلُوفِ الْبَطْحَاءِ يُجْبِلُهَا النَّيْبُ
 لُ وَقَدْ شَفَّ جَوْفَهَا الْإِضْمَاءُ⁽²⁸⁵⁾
 أَنْكَرَتْ مِصْرَ فَهِيَ تَنْفِرُ مَا لَأ
 حَ بِنَاءٍ لِعَيْنَيْهَا أَوْ خَلَاءُ⁽²⁸⁶⁾

الله بما الإسلام.

(17) وحنين جبل صغير قريب من بدر، وحنين هذه غير حنين التي بين مكة والطائف المذكورة في الآية.

(18) الصفراء: قرية معروفة.

(19) بزوة: مكان يسمى بقاع البزوي عند الحاج.

(20) رايع: هو وادٍ بين الحرمين الشريفين مكة والمدينة قرب البحر.

(21) الجحفة: محل بعد رايع، وقول الناظم (وَنَضَّتْ بَزْوُهُ - البيت) أي أن هذه الأماكن: بزوة ورايع والجحفة خلعت عن الناقة الإعياء لفرحها بقرب الوصول.

(22) بئر علي: قال الجمل: هو المشهور الآن ببئر التفلة.

(23) عقاب السويق: قال ابن حجر قريب من المكان المتقدم.

(24) الخلاء: قال ابن حجر: اشتهر في عصره بجليص وفيه عين ماء واسعة وبركة، والأماكن الثلاثة الأخيرة أرت الناقة الخلاء لأنها قريبة من مكة.

(25) بئر عسفان: بضم العين كعثمان على مرحلتين من مكة.

(26) بطن مَرٍ: ويسمى: مَر الظهران قريب من مكة.

(27) الزاهر: مكان مشهور قبيل ذي طوى في داخل الحرم.

(28) المساجد: المحل المعروف بمسجد عائشة. ختم ذكره للمنازل التي بين مصر ومكة بقوله:

هذه عدة المنازل لاما غَدُّ فيه السماك والعَوَاءُ

أي هذه المنازل بين مصر ومكة هي المنازل التي عليها المعول لا منازل القمر، وكل من هذه المنازل ثمانية وعشرون، ومن منازل القمر: السماك الأعزل، والعواء.

كُتِبَ عَلَيْهَا فَالْبُرَيْبُ فَالْحَضْرَاءُ ⁽²⁸⁷⁾	فَأَقْضَتْ عَلَيَّ مُبَارِكَةَ بَر
النَّخْلِ وَالرَّكْبُ فَائِلُونَ رِوَاءُ ⁽²⁸⁸⁾	فَالْقَبَابُ الَّتِي تَلِيهَا فَيُفْرُ
خَلْفَهَا فَالْمَعَارُ الْفَيْحَاءُ ⁽²⁸⁹⁾	وَعَدَتْ أَيْلَةَ وَحِفْلٍ وَفُرُ
كَ وَتَنَلُو كَفَافَةَ الْعُوجَاءُ ⁽²⁹⁰⁾	فَعِيُونَ الْأَقْصَابِ يَتْبَعُهَا النَّب
عُ فَرَقَّ الْيُنْبُوعُ وَالْحُورَاءُ ⁽²⁹¹⁾	حَاوَرَتْهَا الْحُورَاءُ شَوْقًا فَيُنْبُو
دَ حُنَيْنٍ وَحَنَّتِ الصَّفْرَاءُ ⁽²⁹²⁾	لَاخٍ بِالِدَّهْنَيْنِ بَدْرٌ لَهَا بَع
فَمَهْ عَنْهَا مَا حَاكَهُ الْإِنْصَاءُ ⁽²⁹³⁾	وَنَضَّتْ بَزْوَةٌ فَرَابِعُ فَالْجُح
فَعَقَّابُ السُّوَيْبِ فَالْحَلْصَاءُ ⁽²⁹⁴⁾	وَأَرْزَتْهَا الْحُلَاصَ بِئْرُ عَلِيٍّ
بَطْنِ مَرِّ ظَمَانَةَ حُمَصَاءُ ⁽²⁹⁵⁾	فَقَهِيَ مِنْ مَاءٍ بِئْرِ عُسْقَانَ أَوْ مِنْ
بِخْطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَا وَحَاءُ ⁽²⁹⁶⁾	قَرَّبَ الرَّاهِرُ الْمَسَاجِدَ مِنْهَا
عُدَّ فِيهِ الْبِيَمَاكُ وَالْعَوَاءُ ⁽²⁹⁷⁾	هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لَا مَا

(297-302) شبه في البيت الأول ناقته التي ركبها في مكة وانتقلت به إلى عرفة إلى مزدلفة إلى منى بالشمس لرفعة مقصدها، وشبه البيداء التي تسير فيها بالسماء.

وأرجل في هذا البيت يصح بناؤه للفاعل كما يصح بناؤه للناصب، ولما ذكر مكة في البيت الأول، ذكر في البيت الثاني أن مكة موضع للبيت أي الكعبة، ومهبط الوحي وماوى الرسل فهناك الأنوار وهناك البهاء، ثم ذكر أفعال الحج من الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار، والإهداء: وهو سوق الهدى إلى مكة ودخجه بها. ثم قال: (حبذا حبذا معاهد البيت) أي هذه المعاهد حبيبة إليّ ولم يغيرها البلاء أي القدم، وذكر أيضاً من الأشياء التي شرف الله بها مكة أنها حرم آمن، وهي محترمة بحرمته الله من يوم خلق السموات والأرض كما في الحديث الصحيح وقد ضبطت كتب المناسك حدود الحرم وأنّ بما البيت الحرام الكعبة، وأنّ بما المقام بفتح الميم وهو الحجر الذي أنزل لإبراهيم عليه السلام لبناء الكعبة وفيه أثر قدميه ثم ذكر أن المقام بضم الميم في الحرم تلاء أي ذمة وجوار. وذكر أنه أدى المناسك بما، والمناسك جمع منسك من النسك وهي العبادة أي متعبدات الحج والعمرة وهذه المناسك هي التي لا يحمد القضاء أي الداء إلا في فعلها.

التقل بين مكة وبقيّة المشاعر

فَكَأَنِّي بِهَا أَرَجُلٌ مِنْ مَ —	كَّةً تَمْتَسَا سَمَاؤَهَا الْبَيْدَاءُ ⁽²⁹⁸⁾
مَوْضِعِ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ	الرُّسُلِ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ ⁽²⁹⁹⁾
حَيْثُ فَارِضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ	وَالْحَلِيقِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ وَالْإِهْدَاءُ ⁽³⁰⁰⁾
حَبِّدَا حَبِّدَا مَعَاهِدُ مِنْهَا	لَمْ يُعَيِّرْ أَيَّاتِهَا تَهْنَأُ الْبِلَاءُ ⁽³⁰¹⁾
حَرَمٌ أَمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ	وَمَقَامٌ فِيهِ الْمَقَامُ تَلَاءُ ⁽³⁰²⁾
فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُحْ —	مُدُّ إِلَّا فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ ⁽³⁰³⁾

السَّيْرُ لِلزِّيَارَةِ الْمَشْرِفَةِ

وَرَمَيْنَا بِهَا الْفَجَاجَ إِلَى طَيْبِ —	بَةَ وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ ⁽³⁰⁴⁾
فَأَصَبْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْ —	بِ وَنَعْمَ الْحَبِيْبَةُ الْكَوْمَاءُ ⁽³⁰⁵⁾
فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيْبِ يَعْضُ —	الطَّرْفَ مِنْهَا الضِّيَاءُ وَاللَّأَلَاءُ ⁽³⁰⁶⁾

(303-312) انتقل إلى وصف رحلته إلى طيبة وهي المدينة المنورة، فذكر أنه رمى بناقته التي ألفت البطحاء الفجاج وهي جمع فح وهو الطريق الواسعة يقصد طيبة والسير بالمطايا يشبه سير السهم إذا رمى به. وأنه أصاب غرضه من القرب من المدينة المشرفة بسبب ركوبه تلك الناقة، ورأى أرض الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم بغض الطرف أي يخفضه نورها المشرق. وشبه البيداء بين مكة والمدينة بالروضة الغناء حينما قابلت العين، كما شبه الأماكن التي حول المدينة المنورة لما تغشاها الأنوار المشعة من قبره عليه الصلاة والسلام بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزوارها. وأفاد أنه كما لاحت فيها الأنوار فاح طيبها فكان ريح الجنوب والشمال ينشران المسك في أرجائها. فإذا ما نظرت رباها أو شممتها لاح منها البرق النوراني وفاح كباء - بكسر الكاف - أي ريح البخور. وحين وصل إلى قباء - بضم القاف - شاهد الزائرون نوراً باهراً وأزهاراً نضيرة حين رأوا القباب التي هناك، واعتزته حين قرب من المدينة حال ثبت فيها دمه فهو سيل، وفر اصطباره فهو كالجفاء أي الزئبد وبسبب ما يعتري من الحال يرى المخاطب السائرين جادين في السير لشدة الشوق إلى المدينة المنورة فكيف بالشوق إليه صلى الله عليه وآله وسلم وللزائرين حين القرب ارتفاع الأصوات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

- فَكَأَنَّ الْبَيْدَاءَ مِنْ حَيْثُ مَا قَا
 وَكَأَنَّ الْبِقَاعَ زَرَّتْ عَلَيْهَا
 وَكَأَنَّ الْأَرْجَاءَ تَنْشُرُ نَشْرَ الْ
 فَإِذَا شَمَمْتَ أَوْ شَمَمْتَ رَبَاهَا
 أَيُّ نُورٍ وَأَيُّ نُورٍ شَاهِدُنَا
 فَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اضْطِبَّارِي
 فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ
 بَلَّتِ الْعَيْنُ رَوْضَةً غَنَاءُ⁽³⁰⁷⁾
 طَرَفَيْهَا مُلَاءَةٌ حَمْرَاءُ⁽³⁰⁸⁾
 مِسْنِكٍ فِيهَا الْجُثُوبُ وَالْجُرِّيَاءُ⁽³⁰⁹⁾
 لَأَخٍ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحٌ كِبَاءُ⁽³¹⁰⁾
 يَوْمَ أَبَدْتُ لَنَا الْقِيَابَ قُبَاءُ⁽³¹¹⁾
 فَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جَفَاءُ⁽³¹²⁾
 قِي إِلَى طَيِّبَةٍ هُمْ ضَوْضَاءُ⁽³¹³⁾

ما يعتري القادمين من عظيم المهابة

- فَكَأَنَّ الزُّوَارَ مَا مَسَّتِ الْبَاءُ
 كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ
 سَاءٌ مِنْهُمْ خَلْقاً وَلَا الضَّرَاءُ⁽³¹⁴⁾
 وَدُعَاءٌ وَرَعْبَةٌ وَابْتِعَاءُ⁽³¹⁵⁾

(313-319) كما يرى المخاطب أن الزائرين للمدينة المنورة رغم شدة السفر كأنهم ما مستهم البأساء ولا الضراء. وأتى بعد ذلك بوصف ما يعتري القادمين عليه من عظيم المهابة التي تستولي على القلوب. فلنفوس القادمين عليه صلى الله عليه وآله وسلم ابتهاج أي تضرع إلى الله تعالى، وتوسل بأحب الخلق إلى الله تعالى ودعاء ورجبة وابتغاء لجزيل الثواب، ولتلك النفوس زفير من شدة الخشية وعظيم المهابة ولشدة ذلك الزفير كأنه زقاء، ومن شدة الشوق أسبلت العيون الدموع الغزيرة لهيبة المثل بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، ومدّ البكاء سيل من الدموع وحث النحيب وهو رفع الصوت بالبكاء استعلاء. وللجلالة التي استولت على القلوب أصبحت مجسوم القادمين من كثرة الرُحضاء، وهو العرق أثر الحمى - كأنه غسلها، ولعظمة الموقف تغيرت الوجوه حياء كأنما ألبستها الحرياء ألوانها وجلال الموقف تحاطلت الدموع بسبب الأسباب الباعثة على البكاء، وقد شبه هذه الأسباب بالسحابة الدائمة السح.

- وَرَفِيرٌ تَنْظُرُ مِنْهُ صُدُوراً
 وَبُكَاءٌ يُغْرِيبُهُ بِالْعَيْنِ مَدُّ
 وَجُسُومٌ كَأَنَّهَا رَحَضَتْهَا
 وَوُجُوهٌ كَأَنَّهَا أَلْبَسَتْهَا
 وَذُمُوعٌ كَأَنَّهَا أَرْسَلَتْهَا
 صَادِحَاتٍ يَعْتَادُهُنَّ زُقَاءً⁽³¹⁶⁾
 وَنَحِيبٌ يَخْتُلُّهُ اسْتِعْلَاءً⁽³¹⁷⁾
 مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرَّحَضَاءِ⁽³¹⁸⁾
 مِنْ حَيَاءٍ أَلْوَانَهَا الْحِرَاءُ⁽³¹⁹⁾
 مِنْ جُفُونٍ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ⁽³²⁰⁾

المواجهة الشريفة

- فَحَطَطْنَا الرِّحَالَ حَيْثُ يُحْطُ
 وَقَرَأْنَا السَّلَامَ أَكْرَمَ خَلْقِ
 وَذَهَلْنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَكَمْ أَدْ
 وَوَجَمْنَا مِنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى
 الْوِزْرُ عَنَّا وَتُرْفَعُ الْحُوجَاءُ⁽³²¹⁾
 اللَّهُ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِقْرَاءُ⁽³²²⁾
 هَلْ صَبَّأَ مِنَ الْحَيْبِ لِقَاءُ⁽³²³⁾
 لَا كَلَامَ مِّنَّا وَلَا إِيمَاءُ⁽³²⁴⁾

(320-325) ذكر في هذه الأبيات وقوفه في المواجهة الشريفة فابتدأ بأنه حطّ رحله في المدينة المنورة حيث يحطّ القاصد ذنوبه ويرفع سائلاً حاجته ثم وصف موقفه في المواجهة النبوية بأنه أقرأ السلام أكرم الخليقة صلى الله عليه وآله وسلم حيث إن إقراء السلام عند قبره يُسمع كما جاء في الحديث: "ما من أحد يسلم عند قبري إلا رد الله تعالى علي روعي حتى أزد عليه السلام" (روى هذا الحديث أبو داود = في جامعهِ والسيوطي في الجامع الصغير، وذكر الحفني في حواشيه على الجامع أن رده عليه الصلاة والسلام إذا كان المسلم بالقرب لأن الحديث في الجامع ليس فيه عند قبري، بل لفظه: ما من أحد يسلم عليّ)، ولما استولت عليه سبحات الجلال ذهل عند وقوفه في المواجهة الشريفة، وهذا شأن الصب عند لقاء الحبيب.

وكما ذهل كذلك وجم أي سكت من أجل المهابة فلا كلام ولا إشارة. ثم لما عزم على القبول من الزيارة كان لقلبه التفات إلى المدينة، ولجسمه العطف إليها.

وختتم وصفه لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سمح لنفسه بفراق ما يجب من الوقوف في المواجهة الشريفة وإن كانت نفسه تخيلة بما لكن قد يسمح البخيل عند الضرورة، والضرورة الداعية إلى الرجوع القيام بالشؤون الملقاة على الإنسان.

وَرَجَعْنَا وَلِقُوبِ التَّفَاتَا

وَسَمَحْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسُ

تُ إِلَيْهِ وَلِلْحُسُومِ انْتِشَاءً⁽³²⁵⁾

مَحْ عِنْدَ الصُّرُورَةِ الْبُخْلَاءِ⁽³²⁶⁾

استعطافه صلى الله عليه وآله وسلم

يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي ضِمَّنْ إِفْسَا	مِي عَلَيَّهِ مَدْحٌ لَهُ وَتَنَاءٌ ⁽³²⁷⁾
بِالْعُلُومِ الَّتِي عَلَيَّكَ مِنَ اللّٰهِ	هُ بِإِلَّا كَاتِبٍ هَذَا إِمْلَاءٌ ⁽³²⁸⁾
وَمَسِيرِ الصَّبَا بِنَصْرِكَ شَهْرًا	فَكَأَنَّ الصَّبَا لَدَيْكَ زُخَاءٌ ⁽³²⁹⁾
وَعَلَيَّ لَمَّا تَقُلْتِ بِعَيْنَيْيْ	هُ وَكَلَّتَاهُمَا مَعًا زَمْدَاءٌ ⁽³³⁰⁾
فَعَدَا نَاطِرًا بِعَيْنَيْ عُقَابٍ	فِي عَزَاةٍ هَذَا الْعُقَابُ لِيَوَاءٌ ⁽³³¹⁾

(326-330) لما تمم مقصد الزيارة المشرفة شرع في مقصد آخر وهو التضرع والابتهاال إلى الله تعالى والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبدأ ذلك بمناداته عليه الصلاة والسلام بكنيته وهو: أبو القاسم ذكراً إن أقساماته الآتية بعد بيت ندائه ضمنها مدحه والثناء عليه، وجواب الاقسام سيأتي بعد خمسة وخمسين بيتاً وهو قوله (380- الأمان الأمان إن فؤادي.. البيت).

واستعطاف الناظم ليفوز في الدنيا والآخرة وليأمن من المحن. أقسم أولاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم الذي من إملاء جبريل أي بالوحي حال أن هذه العلوم بلا كاتب وإقسامه لأجل الأمان له، وأقسم ثانياً بمسير الصببا بنصره صلى الله عليه وآله وسلم والصببا هي الريح التي مهبها من مطلع الشمس ونصر بها صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق، وأقسم ثالثاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزة التي وقعت على عليّ فإنه لما كان الرمد بعينه تفل فيهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعداتا صحيحتين وأصبح نظره كمنظر العقاب وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الراية التي تسمى العقاب في غزوة خيبر وهي سنة سبع من الهجرة.

وَيَرْجُوْنَ طَيْبُهُمْ مِنْ
 كُنْتُمْ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آ
 مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِيَنِ الطَّ
 كَ الَّذِي أُوْدِعْتُهُمَا الرَّهْرَاءُ⁽³³²⁾
 وَثَ مِنَ الْخَطِّ نُقِطَتَيْهَا الْيَاءُ⁽³³³⁾
 فُ مُصَابِيهِمَا وَلَا كَرْبَلَاءُ⁽³³⁴⁾

(331-345) إقسامه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً بالحسن والحسين، وعبر عنهما بالريحانتين اقتباساً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "هما ريحانتي من الدنيا" رواه البخاري، وهاتان الريحانتان طيبهما من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أودع في فاطمة الزهراء وأفاد بعد ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يضمها لمحبه إياها كما تضم الياء نقطتيهما. بين أنّ الريحانتين شهدان ليس ينسبه في مصابهما الطُّفُّ ولا كربلاء وهما موضعان بالعراق، وقيل موضع واحد، وشهادة الحسن رضي الله عنه أنه مات مسموماً سنة خمسين سنة يزيد بإغراء امرأة الحسن على سمه، وأما شهادة الحسين رضي الله عنه فكانت سنة إحدى وستين يوم الجمعة عاشر المحرم قتله الجيش الذي أرسله يزيد ابن معاوية، وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة. لم يراع في الريحانتين الحسن والحسين رضي الله عنهما حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المرؤسون ولا الرؤساء وخانوا العهد. ذكر أن المكرّة بالشهيدتين أبدلوا الحمية في نصر القرى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي قرابته بالبعض وعدم النصرة وخالفوا قوله تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجرٌ إلا المودة في القربى" (الشورى: آية 23)، وشبه المكرّة بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باليرابيع في المكر، والنافقاء: إحدى حجرتي البربوع التي يخفيها وذكر أن قلوب هؤلاء المكرّة قست على قرابته صلى الله عليه وآله وسلم الذي بكت الأرض والسما فقدهم.

وأمر الناظم المخاطب أن يبكي على الحسينين الشهيدتين، والبكاء قليل في عظيم المصاب. ذكر الناظم أنه ازداد كربه حتى أنه كلما مر بمكان تصور أنه الأرض التي قتل بها الحسين رضي الله عنه، وكذلك كل يوم أصبح فيه تصور أنه عاشوراء التي قتل في يومها الحسين.

نادي أهل بيت النبي وهم قرابته من النسب وأمهات المؤمنين مخبراً بأن فؤاده ليس ينسبه مصابهم حصول الشدائد. واستثنى حين حديثه على المصاب الحال بآل البيت أنه يفوض أمره إلى الله تعالى في هذه المصيبة، وتفويض الأمور إلى الله براءة من الشرك. ويخفف المصاب النازل بسبب مقتل الحسين ما وقع من خلفاء بني العباس بخروجهم على بني أمية فزغوا الخلافة منهم، والزوراء: ناحية ببغداد وشبه بعد ذلك ما نال الأعداء من القتل بالسيف والرمح، وشبه أولئك القتلى الذين سالت دماؤهم بالرق الذي حل وكأوه، والوكاء ما يشد به رأس الرق.

وحاطب آل البيت بأنهم طابوا أصولاً ونفوساً وأفعالاً وأقوالاً وصفات فطاب مدحهم، وطاب رثاؤهم، وهو تعدد المحاسن بعد الموت. وشبه الناظم نفسه بسيدنا حسان رضي الله عنه حين يمدح آل البيت وشبه نفسه بالخنساء حين يرثيهم وينوح عليهم، وسيدنا حسان هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي (54هـ) شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينافح عنه أي يدافع. وأما الخنساء فهي بنت عمرو بن الشريد بعدها بعضهم من الصحابييات كانت من أشعر الناس وتوفيت سنة (24هـ). وحتم توجهه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فيهم: بأنهم سادوا الناس بالتقى بعد النسب الطاهر، وأما غيرهم ممن لم يعملوا بعملهم من التقوى فإنما سودتهم البيضاء أي الفضة والصفراء أي الذهب.

سٌ وَقَدْ خَانَ عَنْدَكَ الرَّؤْسَاءُ (335)
 بِي وَأَبَدَتْ ضَبَابَهَا النَّافِقَاءُ (336)
 بَكَتِ الْأَرْضُ فُقُودَهُمْ وَالسَّمَاءُ (337)
 فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابِ الْبُكَاءُ (338)
 مِنْهُمْ كَرِيلاً وَعَاشُورَاءُ (339)
 لَيْسَ يُسْئَلُ بِهِ عَنْكُمْ التَّاسَاءُ (340)
 هِ وَتَفْوِيضِي الْأُمُورَ بَرَاءُ (341)
 حَقَّقَتْ بَعْضَ وَزِيرِ الزُّورَاءُ (342)
 مِنْهُمْ الرِّقُّ حُلٌّ عَنْهُ الْوِكَاءُ (343)
 مَدْحٌ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرِّثَاءُ (344)
 تٌ عَلَيْنُكُمْ فَإِنِّي الْخُنْسَاءُ (345)
 سَوَدَّتْهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّافِرَاءُ (346)

مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرُوءُ
 أَبَدَلُوا الْوَدَّ وَالْحَفِيظَةَ فِي الْمُرُ
 وَقَسَتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ
 فَابْكِهِمْ مَا اسْتَطَعَتْ إِنَّ قَلِيلاً
 كُلَّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكُرْبِي
 آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي
 عَيْرَ أُنِّي فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ
 رَبِّ يَوْمٍ بِكَرِيلاً مَسِيءٍ
 وَالْأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ
 آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طَبِئْتُمْ فَطَابَ الْ
 أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحُ
 سُدَّتُمْ النَّاسَ بِالتَّقَى وَسِوَاكُمْ

الإقسام بالصحابة الكرام

- وَبِأَصْحَابِكَ الَّذِينَ هُمْ بَعْدُ
دَكَ فِينَا الْهُدَاهُ وَالْأَوْصِيَاءُ⁽³⁴⁷⁾
- أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلَافَةَ فِي الدِّينِ
سِنْ وَكُلِّ لِمَا تَوَلَّى إِزَاءُ⁽³⁴⁸⁾
- أَغْنِيَاءُ نَزَاهَةً فُقَرَاءُ
عُلَمَاءُ أَيْمَانَةٌ أُمَّرَاءُ⁽³⁴⁹⁾
- زَهْدُوا فِي الدُّنْيَا فَمَا عَرَفَ الْمَيِّتُ
سَلِّ إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلَا الرَّغْبَاءُ⁽³⁵⁰⁾
- أَرْخَصُوا فِي الْوَعَى نُفُوسَ مُلُوكِ
حَارِثُوهَا أَسْأَلُهَا إِعْلَاءُ⁽³⁵¹⁾

(346-354) أقسم بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم بعده هداة في الناس وأوصياء بأمر الدين، فجاهدوا وساسوا الأمة ونشروا العلوم وأحسنوا بعده الخلافة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية، ثم تبعهم التابعون، وكل إزاء لما تولى أي قائم بما تولاه ثم وصف الصحابة بأنهم أغنياء ذوو نزاهة، فقراء إلى الله تعالى بظواهرهم وبواطنهم، علماء بما ورثوه من علومه صلى الله عليه وآله وسلم، أئمة وأمراء قائمون بحقوق الإمارة ثم وصف الصحابة الكرام بأنهم زهدوا في الدنيا ما لها وجاهها فما عُرف منهم ميل إلى الدنيا ولا رغبة فيها.

ثم وصف الصحابة بأنهم في الوعى، أي الحرب أرخصوا نفوس ملوك حاربوهم أي فكيف بغيرهم، وأسلاب هؤلاء الملوك غالية السعر. وانتقل إلى وصف علمهم الجم بأنهم كلهم في أحكامهم ذوو اجتهاد تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، وكلهم مصيبون أكفاء أي في أصل الصحة، وإن كان هناك تفاوت في الزيادة لأن أفضل الناس بعد الأنبياء: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وإلى ذلك أشار اللقاني بقوله:

وخيرهم من ولي الخلافة	وأمرهم في الفضل كالخلافة
يلهم قوم كرام برة	عدتهم ست تمام العشرة
فأهل بدر العظيم الشأن	فأهل أحد فبيعة الرضوان

والصحابة رضوان الله عليهم رضي الله عنهم أي أمنهم من سخطه وأحلهم دار كرامته، ورضوا عنه: أي لم تختلج في نفوسهم حزازة من قضاء الله تعالى فكيف يصل إليهم الخطأ.

وقوله (وجاء قومٌ من بعد قوم) البيت: أي أن الصحابة في إسلامهم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حال كونهم قوماً بعد قوم والسابقون السابقون أولئك المقربون فالداخلون في الإسلام في ازدياد لا في نقصان وذلك من علامات النبوة وكلهم سائقون على المنهج السوي وجاءوا عليه.

وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلوا أصحاب موسى وهم النقباء كما فضلوا أصحاب عيسى وهم الخواريون.

- كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ
 وَصَوَابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءٌ⁽³⁵²⁾
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنَّا
 لَهُ فَأَنِّي يَخْطُطُو إِلَيْهِمْ خَطَاءً⁽³⁵³⁾
- جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ بَحْقِي
 وَعَلَى الْمَنْهَجِ الْحَنِيفِيِّ جَاءُوا⁽³⁵⁴⁾
- مَا لِمُوسَى وَلَا لِعِيسَى حَوَارٍ
 يُونَ فِي فَضْلِهِمْ وَلَا نُقَبَاءُ⁽³⁵⁵⁾
- بِأَبِي بَكْرٍ الَّذِي صَحَّ لِلنَّاسِ
 سِ بِهِ فِي حَيَاتِكَ الْإِقْتِدَاءُ⁽³⁵⁶⁾
- وَالْمَهْدِيِّ يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا
 أُنْقَذَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّينِ⁽³⁵⁷⁾
- أَنْفَقَ الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلَا مَ
 نِ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ⁽³⁵⁸⁾
- وَأَبِي حَفْصِ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّ
 نُّ وَأَعْطَى جَمًّا وَلَا إِكْدَاءُ⁽³⁵⁹⁾
- هُ بِه الدِّينَ فَارْعَوَى الرَّقَبَاءُ⁽³⁶⁰⁾

(355-358) لما أقسم بالصحابة كلهم إجمالاً خصص العشرة المبشرين بالجنة وابتدأ بأفضل الخلق بعد الأنبياء: أبي بكر رضي الله عنه وهو عبد الله بن عثمان أبي عتابة ولقبه عتيق، وترجمته تستوعب مجلدات وإنما تقتطف منها زهرات شديدة منها: أنه أفضل رجل طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين وقد صح اقتداء الناس به في حياته صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك الاقتداء به في الصلاة حين مرض صلى الله عليه وآله وسلم مرض الوفاة حتى أنه لما رآه الرسول الكريم يصلي تبسم يضحك، وفي هذا أفضل دليل على أفضليته العظمى ومكانه الرفيع.

ويكفيه من المواقف الخالدات في الإسلام موقفه يوم السقيفة إذ كان قوله الفصل المبين للحق في أمر الخلافة، وقد سكن اختلاف الناس في أمرها واضطرابها بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان اضطرابهم الشديد في الخلافة كالليللة الداء الشديدة الظلمة. أنقذ وحلص الدين من التلاشي بعدما حصل له من إشرافه على كل كربة فقد ثبت الناس يوم موته صلى الله عليه وآله وسلم، ورجع الناس إلى ما رواه في محل دفنه الكريم، وكذلك فيما يتعلق بميراث الأنبياء، وموقفه يوم السقيفة كما تقدم وكذلك في حرب أهل الردة. انفق ماله كله في رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه نزل قوله تعالى: "وسيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكى" (البلبل: الآية 17-18) وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه ليس أحد من الناس أمراً عني بنفسه وماله من أبي بكر "الحديث"، وفضائله متنوعة كثيرة ولا من ولا انقطاع لعطائه رضي الله عنه، وتوفي رضي الله عنه سنة (13هـ).

(359-362) وثني في إقسامه بعمر وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذي أعز الله تعالى به الإسلام فإنه حين أسلم أظهر إسلامه لأنه لما أسلم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله ألسنا على حق؟ فقال: بلى، فقال: فقيم الإخفاء فخرج المسلمون في صفين: عمر في أحدهما وحزرة في الآخر حتى دخل المسلمون المسجد فكبرت قریش لذلك فقد كان إسلامه فتحاً، وهجرته

وَالَّذِي تَقْرُبُ الْأَبَاعِدُ فِي اللَّـ
 عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفُصْ
 فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَازُوا
 وَابْنِ عَفَّانَ ذِي الْأَيْدِي الَّتِي طَا
 حَفَرَ الْبُئْرَ جَهَّزَ الْحَيْشَ أَهْدَى
 وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْيَمِينِ إِذْ لَمْ
 إِلَيْهِ وَتَبِعُهُ الْقُرَبَاءُ (361)
 لَ وَمَنْ حُكِمَ السَّوِيُّ السَّوَاءُ (362)
 قَا فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاةِ انْبِرَاءُ (363)
 لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الْإِسْدَاءُ (364)
 الْهُدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الْأَعْدَاءُ (365)
 يَدُنْ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءُ (366)

نصراً وإمامته رحمة، فبإسلامه أنزجر الأعداء المترقبون بالإسلام. وصفه بأشهر أوصافه رضي الله عنه بأنه تقرب الأبعاد إليه لأجل رضا الله تعالى وتبعه الثرياء لأجل ذلك. ثم سماه باسمه فهو عمر بن الخطاب الذي قوله الفصل وهو الحق وحكمه لا اعوجاج فيه فهو العدل السوي فقد كان عمر أصلب الناس في دين الله. لما كان فاروقاً فرّ منه الشيطان وقد أطفأ نور النار التي هي أصل الشيطان، وفضائله وما ورد في شأنه كثير، ودامت خلافته عشرة أعوام وستة وخمسين يوماً. طعنه فيروز غلام المغيرة بن شعبه سنة (23هـ).

(363-367) وذكر أن الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين هو ذو النورين عثمان بن عفان الذي أسدى أيادي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي حفر بئر رومة وقد كانت لليهودي وهي الماء العذب الوحيد في المدينة، فحين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة فاشتراها بعشرين ألف درهم وأوقفها على المسلمين، وحفرها. وجهز جيش العسرة في غزوة تبوك فقد حمل على ألف بعير وسبعين فرساً وأتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم فاستغفر له، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه اشترى الجنة مرتين بخبر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة، وفي غزوة الحديبية نحر هديبه بمكة دون غيره فأنهم نحرُوا هديهم بالحديبية لما صد الأعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دخول الحرم وكان ذلك سنة ست من الهجرة.

ولما امسكوا عثمان عندهم لما أرسله الرسول ليكلّم أشرف قريش في أن يرجعوا عن منعه قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى أن يطوف حين منعوا الرسول الكريم من دخول مكة والطواف.

ويسب ما وقع من عثمان من امتثال أمر الرسول في الذهاب إلى العدو مع عدم مبالاته بما يقع له من العدا، ويسب تأدبه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عدم الطواف إذ لم يطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم جُوزي حين بيعة الرضوان بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبيع عنه فضرب بيده اليمنى على اليسرى ويا لها من بيعة بيده البيضاء أي: البالغة الكرم.

وتركه للطواف وإن كان تركاً للعبادة وهي الطواف فإنه تضاعف الأجر فيه دون الفعل للأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيداً الأديب.

وامتيازات عثمان كثيرة، منها: أنه رابع أربعة في الإسلام وروجه النبي عليه الصلاة والسلام بانتيه، وجمع المصحف على صورته التي أجمع عليها المسلمون. وقتل رحمه الله محصوراً بداره سنة (35هـ).

فَجَزَّتْهُ عَنْهَا بَيْعَةَ رِضْوَا
 نِ يَدٍ مِنْ نَيْبِهِ بَيْضَاءُ⁽³⁶⁷⁾
 أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْمَى
 مَالٌ بِالتَّرْكِ حَبَّذَا الْأَدْبَاءُ⁽³⁶⁸⁾
 وَعَلِيٌّ صِنُو النَّبِيِّ وَمَنْ دِي—
 مِنْ فُؤَادِي وَدَادُهُ وَالْوَلَاءُ⁽³⁶⁹⁾
 وَوَزِيرِ ابْنِ عَمِّهِ فِي الْمَعَالِي
 وَمِنَ الْأَهْلِ تَسْعَدُ الْوُزَرَاءُ⁽³⁷⁰⁾
 لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغَطَاءِ يَقِينًا
 بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غَطَاءُ⁽³⁷¹⁾
 وَيَبَاقِي أَصْحَابِكَ الْمُظْهِرِ التَّر—
 تِيبَ فِينَا تَفْضِيلُهُمْ وَالْوَلَاءُ⁽³⁷²⁾

(368-370) وذكر ختام الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب، ومعنى البيت أقسم عليك بعلي صنو النبي أي أخيه لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخى بينه وبينه وقال له: "أنت أخي في الدنيا والآخرة" رواه الترمذي، والذي هو اعتقاد فؤادي حبه وموالاته ومناصرتيه، وذكر ذلك الناظم رداً على الخوارج الذين سبّوه واستنقصوه.

وهو وزير ابن عمه أي وزيراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وثبت له الوزارة استفادةً من أمور كثيرة تدل على ذلك منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ومؤاخاة النبي له، ومناحه في فراشه لما عزم المشركون قتله صلى الله عليه وآله وسلم فعلى هذا لا منافاة بين ما جاء هنا وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر لما قدمناه.

وقوله: (ومن الأهل تسعد الوزراء) تذييل أفاد به ما خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم به علماً مثل إرساله قاضياً في اليمن. وأشار بقوله: (لم يزدك كشف الغطاء يقينا) إلى قول علي كرم الله وجهه: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)، ثم قال: بل هو الشمس في فضله وعلمه وزهده وأحقية خلافته وهو الشمس لا غطاء عليه. وقتله للعين عبد الرحمن بن ملجم سنة (40 هـ).

(371-379) وأقسم عليه بباقي العشرة المبشرين بالجنة على حسب مراتبهم التي بينها صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلاً وترتيباً. ابتداءً بذكر طلحة رضي الله عنه وهو طلحة بن عبد الله القرشي التميمي وسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض، وطلحة الجود، وعطايه كالسحاب المرسله وتصديق في يوم مائة ألف، ولم يجد ثوباً يذهب به إلى المسجد وأشار الناظم إلى موقفه بأحد، فإنه بقي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد حين فرّ الكثير ووفاه وقد وجبت له الجنة قتل سنة (36 هـ) يوم الجمل وهو أحد الستة من أصحاب الشورى.

وثنى بذكر الزبير رضي الله عنه، وهو الزبير بن العوام القرشي الأسدي ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفيّة، وأحد الستة من أصحاب الشورى وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله وفتح مصر مع عمرو بن العاص، وقتل الزبير سنة (36 هـ).

وأشار الناظم إلى أنه والد القرم أي السيد الكريم عبد الله بن الزبير الذي ولدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع، وقتله جيش الحجاج وهو محصور بمكة عند الكعبة سنة (73 هـ).

والصفيين تنحية صفي وهو الحبيب المصافي والتويمان الولدان في بطن واحد، وقصد الناظم أن الفضل توأم بينهما وهما سعد وسعيد.

أما سعد فهو سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري أبو إسحاق أحد الثمانية السابقين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أول من رمى بسهمه في الإسلام وشهد المشاهد كلها، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وقد اعتزل الفتنة وتوفي بالقيظ سنة (55هـ)، ودفن بالقيظ وهو آخر المهاجرين موتاً.

وأما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو ابن عم عمر، وزوج أخته، والسبب في إسلامه، توفي سنة (50هـ)، ودفن بالقيظ، وهما إن عدت الأصفياء كانا من أكابرهم.

وأقسم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآب بن عوف رضي الله عنه، وهو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، والعشرة المشهود لهم بالجنة، شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، وكان كثير المال محظوظاً في التجارة، وكان كثير الإنفاق، فقد تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشطر ماله، وكان أهل المدينة عيالاً عليه، ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم توفي سنة (32هـ)، في خلافة عثمان.

وأقسم بالمكنى أبا عبيدة، وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، ونزع بأسنانه حلقتين دخلتا في وجحتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولاه أبو بكر على الشام وعمر وهو أمين هذه الأمة. توفي سنة (18هـ) شهيداً بالطاعون في طاعون عمواس، وأقسم عليه بعمه أي اخوي أبيه صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه وهما: حمزة والعباس ابنا عبد المطلب.

وعبر عنهما الناظم بأحكما: نيرا المجد، وكل منهما أتاه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إتاؤه بوزن كتاب، أي أتاهما منه ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب.

واستشهد حمزة رضي الله عنه بأحد سنة (3هـ)، وهو أسد الله وكان شجاعاً لا يطاق وأسلم قبل عمر بثلاثة أيام، وتوفي العباس سنة (32هـ) بالمدينة وقبره مشهور بالقيظ، وصح حديث "العباس مبي وأنا منه" وبارك في ذريته فقد ولوا الخلافة طوال مآت السنين وقد استسقى به عمر الغيث، وأقسم بأم السبطين وهما الحسن والحسين، وهي فاطمة رضي الله عنها وعنهما، وهي أصغر بناته صلى الله عليه وآله وسلم وزوج علي كرم الله وجهه، زوجها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثانية من الهجرة، وكان سنهما حين تزوجها علي (15 سنة) وأشهرها قال ابن عبد البر هي وأم كلثوم أفضل بناته، وكانت فاطمة أحب بناته إليه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنها سيدة نساء أهل الجنة، وتوفيت بعده في رمضان سنة إحدى عشرة.

وأقسم الناظم ببنيتها وهم الحسن والحسين، ومحسن، وقد مات صغيراً، وأم كلثوم وزينب وأولادهم، ولم يكن له صلى الله عليه وآله وسلم عقب إلا منها من جهة السبطين. وقوله: "ومن حوته العباء" أي ما اشتمل عليه الكساء وهم علي وفاطمة وبناتها.

وأقسم عليه أخيراً بأزواجه رضي الله عنهن جميعاً اللواتي تشرفن ببناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنّ وصانن ذلك، وهن إحدى عشرة متفق عليهن، هن: ست قرشيات، وأربع عربيات، وواحدة إسرائيلية.

أولهن: خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وتوفيت قبل الهجرة لثلاث سنين وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية ثم سودة بنت زعنة توفيت سنة (54 هـ)، وعائشة بنت أبي بكر الصديق وتوفيت سنة (57 هـ) وكانت فقيهة حافظة فصيحة، وهي وخديجة أفضل أزواجه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب وتوفيت سنة (45هـ)، وأم سلمة هند بنت أبي أمية وماتت سنة (57هـ)، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب وماتت سنة (44هـ)، وزينب بنت جحش وهي أول من مات من أزواجه بعده سنة (20 هـ)، وزينب خزيمة الهلالية تزوجها سنة (3هـ) ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر، وميمونة بنت الحارث الهلالية وماتت سنة (51هـ)، وجويرية بنت الحارث وماتت سنة (50هـ)، وصفية بنت حيي وهي من سبي خيبر وماتت سنة (50هـ).

وَاحِدًا يَوْمَ فَرَّتِ الرَّفْقَاءُ⁽³⁷³⁾
 مَ الَّذِي أَجْبَثَ بِهِ أَسْمَاءُ⁽³⁷⁴⁾
 وَسَعِيدٍ إِنْ عُذَّتِ الْأَصْفِيَاءُ⁽³⁷⁵⁾
 يَا بِنْدِلٍ يُمْدُهُ إِثْرَاءُ⁽³⁷⁶⁾
 زِي إِلَيْهِ الْأَمَانَةَ الْأَمْنَاءُ⁽³⁷⁷⁾
 دِ وَكُلُّ آتَاهُ مِنْكَ إِتَاءُ⁽³⁷⁸⁾
 وَبَنِيهَا وَمَنْ حَوْتَهُ الْعَبَاءُ⁽³⁷⁹⁾
 نَ بِأَنْ صَانَهُنَّ مِنْكَ بِنَاءُ⁽³⁸⁰⁾

طَلْحَةَ الْحَبِيرِ الْمُرْتَضِيهِ زَفِيحًا
 وَحَوَارِيَّكَ الزُّبَيْرِ أَبِي الْقُرْ
 وَالصَّافِيَيْنِ تَوَامِ الْفَضْلِ سَعْدِ
 وَابْنِ عَوْفٍ مَنْ هَوَّنتَ نَفْسُهُ
 وَالْمَكِّيَّ أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعُ
 وَبِعَمِّكَ نَسِيرِي فَلَاكَ الْمَجْ
 وَبِأُمَّ السَّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ
 وَبِأَزْوَاجِكَ اللَّوَاتِي تَشْرَفُ

طلب الأمان للحصول على النجاة

الْأَمَانَ الْأَمَانَ إِنَّ فُؤَادِي مِنْ ذُنُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَوَاءُ⁽³⁸¹⁾

(380-420) هذا مبدأ جواب الإقسامات السابقة التي ابتدأها بقوله:

يا أبا القاسم الذي ضمن إقسا

مي عليه مدح له وثناء

إلى ما قبل البيت هذا:

وبأزواجك اللواتي تشرفن بأن صانحن منك بناء

وقوله: الأمان الأمان بالنصب إما مفعول به، وإما مفعول مطلق أي أئنا الأمان أو أئنا الأمان من العقاب، والمعنى: أقسم عليك بمن ذكرت في الأبيات السالفة أن تبليني الأمان من ذنوب لأن قوله: (من ذنوب أتيتها هواء) أي فارغ لتعليل.

ويعد طلب الأمان ذكر أنه تمسك بالوداد أي بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستمسكاً بالحلل الذي تمسك به الشفعاء من الأنبياء والأولياء والعلماء، والصالحين الذين لم تحصل لهم مرتبة الشفاعة إلا بواسطة محبتهم لك، فأنا متمسك بما تمسكوا به لتحصل لي شفاعتك، جرت عادة كرم الله تعالى أن من تعلق بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمسه السوء فلذلك قال الناظم: (وأبي الله أن يمسي السوء) البيت، إن معشر المخبيين وخدام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعونهم ويأملون فيه للأمر العظيمة التي أضعفها في = القلوب رمضاء: أي نار تنقد فأنت الرجاء في الشفاعة.

ثم قال الناظم: (وأئنا إليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهزابل فقراء من الأعمال الصالحة وقد حملتنا إلى حضرتك التي فيها

الغنى ركائب أجهدها طول السير اغتناماً للوقوف بساحات الكرم أي: بقلوبنا أو إلى قبرك المكرم، واستترت في الصدور حاجات نفس أملت حصولها من جنابك وليس لها عن ندى يديك استغناء.

طلب الناظم منه صلى الله عليه وآله وسلم إسعافه بمراده قائلاً: (يا من هو المغيث للمكروبين) والغيث والمطر اللقاحطين إذا صبَّيَ على الخلق الجذب.

وهو الجواد الذي تفرج به الغمة عن الأمة الإسلامية والشدة هذا البيت وهو: (يا رحيمًا... الخ) يتضمن غاية الاستعطاف طلباً للشفاعة في اليوم الذي تكون له صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة العظمى وناداه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: " يا شفيعاً في المذنبين في الوقت الشديد الذي فيه البرءاء، يشفقون من مناقشة الحساب لأن الخوف يعم حتى من لا ذنب له".

وسأل الناظم الجود للعاصي بالشفاعة من كامل الرحمة منه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وضع أنه العاصي، وإنما تنكر ولم يصرح باسمه استحياء.

تداركه أي العاصي بحق حرمته ما دام له تعلق بذلك الجناب العظيم وأخبر عن العاصي المكني به بأنه آخرته الأعمال السيئة المرتكبة منه والمال الذي لم ينفته في وجوه الخير عما قدمه الصالحون من الأعمال الصالحات والأغنياء من الإنفاق في وجوه الخيرات.

وبأنه في كل يوم وليلى معاصيه مرتفعت مع ملائكة الليل والنهار وأنفاسه صعداء أي متواترة ممتدة من أجل ذنوبه وبأنه ولع بالبطنة وهي ملء بطنه من الطعام والشراب وذلك من الأسباب المبطة للسير المعنوي والقلبي لأن البطن إذا امتلأ كسلت وفسد العقل في هذه الدار دار الدنيا التي فيها البطان - جمع بطين- بطاء أي غير سريعين متأخرين عن الفائزين.

وبأنه بكى ذنبه مع ييس قلبه وصلابته فانقلب البكاء بسبب تلك المساواة القلبية مكاء أي كالصغير وبأن ذلك العاصي صار يعتبر القضاء ويلومه ولا عذر لعاصي ينجح بالقضاء لسقوط الإثم عليه وعدم مؤاخذته لأن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة الإلهية على الأسباب والمسببات، وإن كان كل شيء بقضاء الله تعالى فلا بد من رعاية المقامين.

وقال الإمام الغزالي: إن من جملة القضاء الدعاء لرد البلاء.

وهذا العاصي أو ثقته ديون بسبب ذنوب متراكمة عليه فحبسته في الدنيا كما أن ديون الآخرة بسبب التفریط في حقوق الله أثقلته وأوثقته.

فما له حيلة بسبب وضعه من كثرة ذنوبه وديونه في التخلص إلا مثل حيلة الموثق أي الأسير، إما التوسل إلى الله تعالى أو الدعاء إليه.

وحال العاصي أنه راجع لله تعالى مؤملاً منه أن تصير أعماله السيئة بسبب غفران الله تعالى هباء كالغبار وهو راجع كذلك أن تصير سيئاته حسناً، وبذلك يقال استحالت أي الخمر النجسة المحرمة خلأً وهذا من باب الاستعارة أي ما كان من الأعمال سيئاً أصبح حسناً، يا حبيب الله كل ما تهم به يتحول من صفة إلى أخرى يتعجب منها ذوو البصائر والبصر، مثل العرجون الذي أعطاه لعكاشة يوم بدر فأصبح سيفاً.

ثم شبه إنقاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب دعائه وصرف العناية إليه بالماء الملح المنقلب عذباً فراتاً.

وتوجه الناظم من حاله التي جرت له الذنوب قائلاً: (أه) إن كانت تغني هذه الكلمة في التوبة.

وأنا أملُ بحسن ظني توبة نصوحاً والحال أن في القلب نفاقاً وفي اللسان رياءً ومع ذلك لا أترك التوبة رجاء قبولها.

وكذلك حالي تجملني أتعجب من أي أتوب لأن جسمي في اعوجاج وانحناء من كبر سني لأن المرء على ما مجلٌ عليه فذكر أنه إنما أحر التوبة من أجل أنه كما قال: كنت في نومة الشباب وما استيقظت إلا في الحال التي كانت فيها لحيتي شمطاء وكذلك شعر رأسي أي احتلظ سواد الشعر ببياضه.

وحين استيقظت من غرور الشباب طلبت أن أتبع أثر القوم الصالحين فطالت المسافة بيني وبينهم.

وحين صرت خلفهم أصبحت المسافة التي بيني وبينهم عسرة السلوك وأرضاً واسعة.

وبسبب اختلاف الحالين بيني وبين الصالحين حمد الصالحون إدلاجهم أي سيرهم ليلاً كئني بذلك عن سبقهم في الطاعات ويكفي المتخلف

قَدْ تَمَسَّكَتُ مِنْ وَدَادِكَ بِالْحُبِّ
 وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسَّنِي السُّو
 قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَبَى
 وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فُقَرٍ
 وَأَنْطَوْتُ فِي الصُّدُورِ حَاجَاتُ
 فَأَغِيثَا يَا مَنْ هُوَ الْعَوْثُ وَالْعَيْ
 وَالْجَوَادُ الَّذِي بِهِ تُفْرَجُ الْعُ
 يَا رَحِيماً بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا

لِ الَّذِي اسْتَمَسَّكَتُ بِهِ الشُّفَعَاءُ⁽³⁸²⁾
 ءُ بِحَالٍ وَلِي إِلَيْكَ التَّجَاءُ⁽³⁸³⁾
 رَدُّهَا فِي فُؤَادِنَا رَمْضَاءُ⁽³⁸⁴⁾
 حَمَلْتَنَا إِلَى الْعِنَاءِ أَنْضَاءُ⁽³⁸⁵⁾
 مَا لَهَا عَن نَدَى يَدَيْكَ أَنْطَوَاءُ⁽³⁸⁶⁾
 شُ إِذَا أَجْهَدَ الْوَرَى الْأَوَاءُ⁽³⁸⁷⁾
 مَّهْ عَنَّا وَتُكْشَفُ الْحَوْبَاءُ⁽³⁸⁸⁾
 ذَهَلْتُ عَن أَبْنَائِهَا الرَّحْمَاءُ⁽³⁸⁹⁾

عنهم التأخر المفوت لإدراك منازلهم.

وإن رحلة المتأخر عن الصالحين من شهواته إلى اللحاق بهم يضعفه عنها الصيف والشتاء فإذا كان الصيف ينوي تأخيرها إلى الشتاء وكذلك العكس.

ثم يقول: وما أوجب إبطيني عن رحلة اللحاق بالصالحين أن وجهي يتقي حر الصيف وبرد الشتاء، والحال أنه قد صعب عليّ اتقاء حر جهنم لأني متلبس بما يؤدي إلى جهنم إلا أن يتعمدني الله برحمته.

ولأجل حالي ضقت ذرعاً مما جنيت فحياتي مكدره إذ يومي شديد وليتي درعاء مظلمة.

ولكن خفف أمر هذه الضائقة تذكر رحمة الله بسبب ذلك فالفرح أمام وجهي أين توجهت.

وبسبب تذكري رحمة الله مع ما جنيت أقام الرجاء في رحمة الله والخوف من عقاب الله تعالى منازعة في القلب لتضادها.

ووجد من نفسه صاحباً له والمراد يا نفسي لا تيأس من رحمة الله وإن ضعفت عن الطاعة وانفردت بما الأقوياء.

وعلى رجاء نفسه في الرحمة بأن الله الغفور الرحيم رحمة وأحق الناس بما الضعفاء.

وأبرز رحمة الله بالضغفاء بصورة لطيفة وهي أن العرجاء من الغنم حين يكون الرجوع تسبق وكذلك الضغفاء بسبب رحمة الله.

ومن تعلق برحمة الله لا يحسد غيره فيقول هذا الطائع أقرت نخله ونخلي لا ثمرة لها.

وليبعد نفسه عن الغرور الذي يكون عند من يرجو ولا يعمل عملاً صالحاً خاطب نفسه بالإتيان بالمستطاع من الطاعة لأنه لا ينظر إلى

نفسه قوية والفوز بسبب ذلك وذلك مما يضعف ثواب الطائع أو يُجبط عمله إذا كان قوياً.

وحاطب نفسه بأن تطلب رضا الله تعالى والعطاء منه بسبب حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فَقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْبِهِ الْبُرَاءُ⁽³⁹⁰⁾
صِي وَلَكِنْ تَنْكِيرِي اسْتِحْيَاءُ⁽³⁹¹⁾
مَ لَهُ بِالذِّمَامِ مِنْكَ ذِمَاءُ⁽³⁹²⁾
قَدَّمَ الصَّالِحُونَ وَالْأَغْنِيَاءُ⁽³⁹³⁾
وَعَلَيْهَا أَنْفَاسُهُ صُعْدَاءُ⁽³⁹⁴⁾
رِ بِدَارٍ بِهَا الْبِطَانُ بِطَاءُ⁽³⁹⁵⁾
نَهَتْ الدَّمْعَ فَالْبُكَاءُ مُكَاءُ⁽³⁹⁶⁾
رَ لِعَاصٍ فِيمَا يَسُوْقُ الْقَضَاءُ⁽³⁹⁷⁾
شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا الْعُرْمَاءُ⁽³⁹⁸⁾
ثَقِي إِمَّا تَوْسُلٌ أَوْ دُعَاءُ⁽³⁹⁹⁾
ءُ بِعُفْرَانَ اللَّهِ وَهِيَ هَبَاءُ⁽⁴⁰⁰⁾
فَيَقَالُ اسْتَحَالَتِ الصَّهْبَاءُ⁽⁴⁰¹⁾
يَانُ فِيهِ وَتَعَجَّبُ الْبُصْرَاءُ⁽⁴⁰²⁾
حِ فَأَضْحَى وَهُوَ الْفِرَاتُ الرَّوَاءُ⁽⁴⁰³⁾
أَلْفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاءُ⁽⁴⁰⁴⁾

يَا شَفِيعاً فِي الْمُنْذِرِينَ إِذَا أَشْ
جُدُ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ الْعَا
وَتَدَارَكَهُ بِالْعِنَايَةِ مَا دَا
أَحْرَزَهُ الْأَعْمَالُ وَالْمَالُ عَمَّا
كُلَّ يَوْمٍ ذُنُوبُهُ صَاعِدَاتُ
أَلْفَ الْبِطْنَةِ الْمُبْطِنَةِ السَّيِّ
فَبَكَى ذَنْبَهُ بِمَسْوَدِ قَلْبٍ
وَعَدَا يَعْتَبُ الْقَضَاءَ وَلَا عُنْدَ
أَوْثَقْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ دُيُونُ
مَالُهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ الْمُو
رَاجِعِ أَنَّ تَعُودَ أَعْمَالُهُ السُّو
أَوْ تُرَى سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ
كُلُّ أَمْرٍ تُعْنَى بِهِ تُقَلَّبُ الْأَعْ
رُبَّ عَيْنٍ تَقَلَّتْ فِي مَاءِهَا الْمَلْ
أَوْ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُعْنِي

(405) بِنَفَاقٍ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءٌ
 (406) مِمَّا اعْوَجَجْتُ مِنْ كِبَرِيٍّ وَالْحِنَاءِ
 (407) قَطَطْتُ إِلَّا وَلَمَّتِي شَمَطَاءُ
 (408) مِمَّا فَطَّلْتُ مَسَافَةً وَأَقْتَفَاءُ
 (409) سُئِلْتُ وَعِزَّةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ
 (410) وَكَفَى مَنْ تَخَلَّفَ الْإِبْطَاءُ
 (411) فُ إِذَا مَا نَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ
 (412) دَقَّ وَفَدَّ عَزَّ مِنْ لَطَى الْإِيْتَاءِ
 (413) قَمَطِرِيرٌ وَكَيْلَتِي دَرَعَاءُ
 (414) رُ لِرُجُوهِي أَنِّي انْتَحَى تَلْقَاءُ
 (415) بِلِلْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ إِحْفَاءُ
 (416) عَةٍ وَأَسْتَأْتَرْتُ بِهَا الْأَقْوِيَاءُ
 (417) النَّاسِ مِنْهُ بِالرَّمْمَةِ الضُّعْفَاءُ
 (418) دَفَّوِي الْعَوْدِ تَسْبِقُ الْعَرْجَاءُ
 (419) أَمَّمَرْتُ تَخْلُفُهُ وَتَحْلِي عَفَاءُ
 (420) رَّرَّ فَقَدْ يُسْقِطُ التَّمَارَ الْأِيَاءُ

أَرْجِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْبِ
 وَمَتَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجَسَدِ
 كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا اسْتَيْدَ
 وَمَتَادَيْتُ أَقْتَفِي أَنْتَرَ الْقَوُ
 فَوَرَا السَّائِرِينَ وَهُوَ أَمَامِي
 حَمَدَ الْمُدْبِجُونَ غِيبَ سُرَاهِمَ
 رِحْلَةً لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدِي الصَّيِّ
 يَتَّقِي حُرٌّ وَجْهِي الْحُرَّ وَالْبُرَّ
 ضِمْتُ دَرَعًا مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي
 وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ فَالِيشُ
 فَالْحَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ بِالْقَلْبِ
 صَاحٍ لَا تَأْسُ إِنْ ضَعُفَتْ عَنِ
 إِنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً وَأَحْسَنُ
 فَابْقِي فِي الْعُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الدَّوْ
 لَا تَقُلْ حَاسِدًا لِعَيْزِكَ هَذَا
 وَأَتِ بِالْمُسْتِطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْبِ

وَيُحِبُّ التَّيِّبَ فَابْنِ رِضَا اللّٰهِ - هِ فَفِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحَيَاءُ (421)

الضراعة وإظهار التحسر

يَا نَبِيَّ الْهُدَى اسْتِعَانَةَ مَلْهُو
فِي أَضْرَّتْ بِحَالِهِ الْخُورَاءُ (422)
يَدَّعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّو
ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّعْبَاءُ (423)
أَيُّ حُبٍّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرِبِي
لِلْكَرَى وَاصِلٌ وَطَيْفُكَ رَأَى (424)
لَيْتَ شِعْرِي أَدَاكَ مِنْ عَظْمٍ ذَنْبٍ
أَمْ حُظُوظُ الْمُتَيْمِنِينَ حُظَاءُ (425)
إِنْ يَكُنْ عَظْمٌ زَلَّتِي حُجْبَ رُؤْيَا
كَ فَقَدْ عَزَّ دَاءٌ قَلْبِي الدَّوَاءُ (426)
كَيْفَ يَصْدَا بِالذَّنْبِ قَلْبُ مُحِبِّ
وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلِ جِلَاءُ (427)
هَذِهِ عَلَيَّ وَأَنْتَ طَيِّبِي
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءُ (428)

(421-427) ثم تضرع إلى الله مستغيثاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطر أشد الاضطراب بسبب ضعف همته. ذكر الناظم أنه يدعي الحب لله ولرسوله والحال أنه يأمر بالإثم وتعالى أن يصدق في دعواه محبتها مستفهما بقوله: من يتكفل لي أن تصدق عزيبي.

ثم إن إهداء الحب مع الغفلة عن طاعة المحبوب لا يصح لأن طرِبِي واصل للكرى - أي النوم - وطيفك أي خيالك راء أي محتجب وفي هذا البيت تورية وهي الإشارة إلى احتجاب الرءاء عن واصل بن عطاء لأنه كان ألتغ اللسان.

أي ليتني علمت أذاك أي عدم حضور خيال صورته بقلمي من أجل عظم ذنبي، أم حظوظ المتيمين - أي المحبين - متفاوتة؟ إن يكن الذي حجب رؤياك في المنام عظيم ذنبي فقد قل بل عدم الدواء الذي يكون به الشفاء.

بعد ذكره التردد في وجود المحبة لمزيد الخوف ذكر أن رجاءه بسبب تعلقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى أن يصدأ بسبب الذنب قلب المحب والحال أن ذكره - أي ذلك المحبوب - جلاء لقلبه.

أبدى أنه ظفر بسبب حجب الرؤية وهي عظيم الذنب فنادى بأن علته هذه وهي حجب الرؤية والحال أن طيبه أكرم الخلق وهو لا تخفى عليه العلة فرغب منه أن يعجل له بالشفاء.

باعث مدحه

وَمِنَ الْفُوزِ أَنْ أَبْتُكَ شَكْوَى
هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءُ⁽⁴²⁹⁾

ضُمَّنْتَهَا مَدَائِحُ مُسْتَطَابٌ
فِيكَ مِنْهَا الْمَدِيحُ وَالْإِصْغَاءُ⁽⁴³⁰⁾

قَلَّمَا حَاوَلْتَ مَدِيحَكَ إِلَّا
سَاعَدَتْهَا مِيمٌ وَذَالَ وَحَاءُ⁽⁴³¹⁾

حَقَّ لِي فِيكَ أَنْ أَسَاجِلَ قَوْمًا
سَلَّمْتُ مِنْهُمْ لِدَلْوِي الدَّلَاءُ⁽⁴³²⁾

(428-443) ولما أن كان طبيبه خير الخليفة صلى الله عليه وآله وسلم ورفع إليه قصته قال: إن من الفوز والنجاة أن أبئك الشكوى وهي شكوى إليك وطلب من كرمك أن أنجو ويحصل لي الشفاء وهي إدخال على الباعث لمدحه. وهذه الشكوى المتضمنة الاقتضاء أي الطلب ضمنت مدائح مستطاب ومدحها والإصغاء من سامعها لأن الأوصاف النبوية الكريمة زينتها. وقلَّ أن يستصعب عليّ مدحك إذا أردته فكلما توجهت بشكواي إلا قهيت لي الأسباب. وإذا ساعده المدح له صلى الله عليه وآله وسلم حُقَّ له أي ثبت له في مدحه أن يساجل أي يفاخر الشعراء المادحين له عليه الصلاة والسلام، وحين يفاخرهم قال: تسلم دلاؤهم للدلوي أي أفوز عليهم. لفرط محبة الناظم ذكر أن له محبة أي غيرة تدعوه لأن يجب أن لا يسبقه أحد غيره في صوغ المدح النبوي. ثم أضاف علّةً أخرى علاوةً على مساعدة المدح النبوي له وهي استحكام محبة قلبه له صلى الله عليه وآله وسلم وهذه المحبة لولاها لما تميز على المادحين غيره وهي التي يلذ لها مدحك لعلمها أن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم هو الفرح التام بسبب صدق محبي فيك يا رسول الله صلى الله عليك وآلك وسلم أئيب خاطري أي قريحتي الشعرية التي يلذ لها مدحك لعلمها بأنه اللألاء أي الفرح التام أو المضيء المشرق. ثم شبه شعره بالبرد -أي الثياب الرقيقة- فقال: حاكت قريحتي أي نسجت من الشعر برود الم تصنعها صنعاء وهي بلدة باليمن مشهورة بجودة النسيج.

ومدح قصيدته الحمزية هذه ذاكراً أن نظمها فاق الدر النفيس فاستوى في العجز عن الإتيان بمثلها القريحتان الماهرة والغنية ثم قال: إقبل هذا النظم يا أفصح من نطق بالضاد، أي يا أفصح العرب، وهم من فصاحتهم نطقوا بالضاد دون غيرهم من الأمم. استفهم بقوله: أوفيك مدحاً بذكر الآيات؟ وهي الخصائص والمعجزات والاستفهام إنكاري، أي لا قدرة للمخلوق على أن يوفيك مدحك لا أقصد بمدحك أن أجادل قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المادحين له، وساء ظن الأغبياء الذين يظنون ذلك بي وكيف يتصور مني أن أماري المادحين وأماري أمتك الوسطى الفضلى التي غبظتها أي تمت الأنبياء أن يكونوا مثلها. وما انفردت به الأمة الإسلامية الصادقة أمّا لا تخشى الضلال لأنه صلى الله عليه وآله وسلم تركها على المحجة البيضاء والحال أمّا فيها العلماء الذين هم أهل السنة والجماعة فالناس مع وجودهم آمنون. ويسبب أن في هذه الأمة وارثي هديك إنقضت أي الأنبياء وآياتك أي معجزاتك باقية فهي معجزات قبل وجودك ومعك وبعد وفاتك فمعجزاته متواصلة.

والكرامات الواقعة من خواص هذه الأمة كالمعجزات حازها هؤلاء من عطائك والخواص هم: الأولياء نفعنا الله بهم جميعاً.

فِي مَعَانِي مَدِيحِكَ الشُّعْرَاءُ (433)
 لِّلْسَانِي فِي مَدْحِكَ الْعُلُوَاءُ (434)
 حُكَّ عِلْمًا بِأَنَّهُ الْأَلَاءُ (435)
 لَكَ لَمْ تَحْكِ وَشَيْهًا صَنْعَاءُ (436)
 هِ الْيَدَانِ الصَّنَاعُ وَالْحَرْفَاءُ (437)
 دَفَقَامَتْ تَعَارُ مِنْهَا الظَّاءُ (438)
 أَيَّنَ مِيِّي وَأَيَّنَ مِنْهَا الْوَفَاءُ (439)
 سَاءَ مَا ظَنَّنُهُ بِي الْأَعْيَاءُ (440)
 بِكَ لَمَّا أَتَيْتَهَا الْأَنْبِيَاءُ (441)
 وَارْتُو نُورِ هَدِيكَ الْعُلَمَاءُ (442)
 تُكَ فِي النَّاسِ مَا هُنَّ أَنْقِصَاءُ (443)
 حَارَهَا مِنْ نَوَالِكَ الْأَوْلِيَاءُ (443)

إِنَّ لِي غَيْرَةَ وَقَدْ زَاخَمْتَنِي
 وَلَقَلْبِي فِيكَ الْعُلُوُّ وَأَتَى
 فَأَثِبَ خَاطِرًا يَلْدُ لَهُ مَدُ
 حَاكَ مِنْ صَنْعَةِ الْفَرِيضِ بُرُودًا
 أَعَجَزَ الدَّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيهِ
 فَارْضُهُ أَفْصَحَ امْرِئٍ نَطَقَ الضَّاءُ
 أَبِذِكْرِ الْآيَاتِ أُوفِيكَ مَدْحًا
 أَمْ أُمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيِّ
 وَكَ الْأُمَّةُ الَّتِي غَبَطْتَهَا
 لَمْ تَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلَالُ وَفِينَا
 فَانْقَضَتْ آيُ الْأَنْبِيَاءِ وَآيَا
 وَالْكَرَامَاتِ مِنْهُمْ مُعْجَزَاتُ

العجز عن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم

فَبِكَ إِذْ لَا يَخُذُهُ الْإِحْصَاءُ (444)
 كَ وَهَلْ تَنْزِيحُ الْبِحَارِ الرِّكَاءُ (445)

إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنِ وَصْفِ
 كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَا

(444-449) من المعجزات النبوية العجز عن الإحاطة بكل فرد من أوصافك التي اختصك الله بها لأنها لا تحصى .

كيف يمكن للوصف أن يستوعب ما فيك من الأخلاق الكريمة والفضائل والأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف بالبحار وشبه ألفاظ المادحين بالركاء وما تغرفه الركاء من البحار لا يذكر.

- لَيْسَ مِنْ غَايَةِ لَوْصَفِكَ أْبْعِي - هَهَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَأَنْتَهَاءُ (446)
- إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا - تُبْقِي فِيْمَا نَعُدُّهُ الْآنَاءُ (447)
- لَمْ أَطِلْ فِي تَعْدَادِ مَدْحِكَ نُطْقِي - وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ (448)
- غَيْرَ أَيِّ ضَمَانٍ وَحَدٍ وَمَالِي - بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ ارْتَوَاءُ (449)

التسليم على خير البرية

- فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَتْرَى مِنَ اللَّ - هِ وَتَبْقَى بِهِ لَكَ الْبَأْوَاءُ (450)
- وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَمَا عَيْ - رُكَ مِنْهُ لَكَ السَّلَامُ كَفَاءُ (451)
- وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّ - هِ لِتَحْيَا بِذِكْرِكَ الْأَمْلَاءُ (452)

وضح الناظم المعنى المتقدم بزيادة في الإيضاح فأفاد أن أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم ليس لها غاية تنتهي إليها حتى يبغها مادح خلاف القول فله غاية وانتهاء.

وزاد ذلك بياناً بأن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشبه الزمان وأجزاء الزمان لا انتهاء لها فكذلك جزئيات فضائله لا انتهاء لها فلا يظن الظان أن الإطالة في هذه القصيدة الحمزية مرادي من ذلك استقصاء أوصافه لأنها كما تقدم لا غاية لها. وإنما أطلت لا لتقصم الحصر كما تقدم وإنما أنا ظمأن لإسماح تلك الأوصاف الكريمة وليس لي ارتواء بالقليل.

(450-456) ثم شرع حين ختم هذه القصيدة المباركة في الصلاة والسلام فقال: سلامٌ عظيمٌ عليك من الله يتكرر ويتبع بعضه بعضاً ويبقى لك به البأواء أي: الفخر، وثى بسلامة صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه، وهذا السلام هو المكافئ لحضرتك أما سلامٌ من دونك عليك فلا يكافئك ولا يساويك.

ثم قال: عليك من جميع المخلوقات التي خلقها سبحانه وتعالى، وأتى بهذا العموم لتحيا الأملاء - بفتح الهمزة - جمع ملاء، وهو الجماعة. وأتى بعد السلام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والصلاة من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم وهذه الصلاة من الله ومنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جميع المخلوقات وهي كالمسك في شذاها تحمله من الناظم الريح الشمالية إلى الرسول الكريم، والريح النكباء وهي ريح الصبا.

ثم سلم على قبره المكرم الذي ضم أعضائه الشريفة بسلامٍ تحضل أي: تبتل به من القبر المكرم تربة وعساء أي: لينة. ثم ذكر أن نثاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصيدة بين يدي بنجواه أي سؤاله بلوغ مقصوده من كل مأموله قائم مقام الصدقة لأجل النجوى لأنه لا لثاء له.

وختتم بقوله: أدام الله الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم أبداً ما صلى الله سبحانه من عبد ودامت الأشياء أي الموجودات الدنيوية والأخروية وهي لا انتهاء لها.

يَسْأَلُ إِلَيْكَ أَوْ نَكْبَاءُ⁽⁴⁵³⁾
 لِبِهِ مِنْهُ تُرْبَةٌ وَعَسَاءُ⁽⁴⁵⁴⁾
 وَابِي إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ نَرَاءُ⁽⁴⁵⁵⁾
 هِ وَقَامَتْ بِرَبِّهَا الْأَشْيَاءُ⁽⁴⁵⁶⁾

وَصَلَاةٌ كَالْمَسْكَ تَحْمَلُهُ مِ
 وَسَلَامٌ عَلَى ضَرْبِكَ تَخْضُ
 وَتَنَاءٌ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ بِنْحِ
 مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ مَنْ عَبَدَ اللّٰ